

الأساطير والطقوس المتشابهة في الحضارات القديمة والأديان

Echoes of Ancient Myths and Rituals in Contemporary Abrahamic Religions

يسنعرض هذا البحث ميئولوجيا بعض الأساطير في الحضارات القديمة مع الطقوس المتعلقة بها منذ وجودها الذي يعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وتشابهها في جوهرها مع بعض المعتقدات للأديان السماوية في طقوس مختلفة قليلاً، وقد أعطتها دفق المعنى الديني لإضفاء القدسية عليها بعدم التحريف، أو الإلغاء، وإظهار أهميتها كمعتقدات سماوية غير مشتركة بآلية الطقوس الوثنية.

يتناول البحث ثلاث أساطير وثلاثة طقوس أساسية، استندت لها الحضارات القديمة كأساس وجودي لتناميها واستمراريتها، ثم يشرح كل أسطورة على حدة لكل حضارة، مثل حضارة بلاد ما بين النهرين، والحضارات اليونانية والرومانية والفارسية والصينية والهندية والمصرية، ثم يبيّن ما هو مشترك مع الأديان السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام؛ من حيث جوهر المعتقد مع اختلاف الدلالة، وهذه الأساطير والطقوس هي: أسطورة الطوفان، وأسطورة الخلق، وقصة آدم وحواء، والتطهير، والتقطاف، والقرابين والنذور.

كلمات مفتاحية: أساطير، طقوس، بلاد ما بين النهرين، الإغريق، الفرس.

This paper presents some of the mythology of millennia-old ancient civilizations and the rituals which accompanied these myths before exploring the significant and essential resemblance to the beliefs of contemporary Abrahamic religions. One difference is that the latter have been granted a sense of sanctity, presented as uncorrupted and incorruptible and as divinely ordained beliefs which are entirely unrelated to their “pagan” precedents.

The author explores this broader truth by investigating the similarities between the three Abrahamic faiths and a set of classical civilizations: the Mesopotamian, Ancient Greek, Roman, Persian, Chinese, Indian and Ancient Egyptian. Specifically, the author concentrates on a select group of rituals and myths which exist across this spectrum of belief systems: the Creation myth, the Great Flood, the Adam and Eve myth, circumambulation/veneration, purification, and the offering of sacrifices and atonements.

Keywords: Mythology, Rituals, Mesopotamia, Greek civilization, Ancient Persians.

* باحثة في الفنون والآثار، دكتوراه في رموز فنون الحضارات القديمة والأديان، الجامعة اللبنانية.
PhD on the symbolism of the arts in ancient civilizations and religions, Lebanese University. Her research focuses broadly on art and archaeology. Lebanon

تمهيد

تُشكّل الحالة الإيمانية بالقوة الخفية جزءاً أساسياً في تكوين فكر الإنسان وحضارته، وهي موجودة بدرجات متفاوتة عند البشر. فهي إيمانية عند بعض البشر بالرضا والتسليم، وظاهرة من خلال أعمالهم الصالحة، وقد تكون خفيةً ومنكرةً عند بعضهم، فيكون تمجيد هذه القوى ظاهرياً؛ خوفاً من القتل أو الترهيب. وقد يكون الإيمان طاغياً على المنطق عند بعض المتدلين، وقد تكون ظواهر القوى السماوية خاضعةً للعقل وغير مسلم بها، ومن ثم تُعرض للمناقشة من منطلق علمي عند العلماء وال فلاسفة للبحث في أسبابها؛ مثل مسألة نشأة الخلق وأسبابه، ومبدأ الشواب والعقارب في الطوفان، أو الزلازل، أو ثورة البراكين القاذفة لنيران الحمم الحارقة. فكُل نموذج من هذه النماذج الإيمانية بالعتقد في الحضارات القديمة أو الأديان السماوية يحاول ترجمة هذا الشعور العامر الإيماني بمستويات مختلفة، لذا تعددت مظاهره وفقاً لراحته ارتباطاً وثيقاً بالإطار الثقافي والبيئي الذي وجد فيه.

وهكذا، نشأت مجموعة الديانات والمعتقدات القديمة، فكانت الطقوس والأساطير، والسحر والشعوذة، ومحاولات السيطرة على القوى الخفية والتقارب إليها باستخدام طقوس معينة؛ كتقديم الأضاحي والقرابين. ثم ظهرت تباعاً الديانات البشرية؛ كالديانة الرافدية، وشرائع حمورابي، والفلسفات الإلهية اليونانية، والزرادشتية في بلاد فارس، والكونفوشيوسية، والبوذية والطاوية في الشرق الأقصى، والهندوسية في الهند، والأمنونية والأختنونية عند الفراعنة وغيرها، حتى نزلت الأديان السماوية الموحدة (اليهودية، والمسيحية، والإسلامية). وَدَعَت هذه الأديان إلى عبادة الله الواحد وتحريم عبادة الأوثان، وأبْقَت على ما لم يتناقض مع رسالات التوحيد، وحرّمت كل ما يسيء إلى جوهر الأديان السماوية.

مقدمة: في نشوء الأساطير

اتخذت الأساطير في بدايتها المنحى التعليمي والوعظي كي تستطيع السيطرة على عقول البشر وقلوبهم، مستمدّة قوتها من الآلهة الخفية الموجودة في غياب القوى الكونية، ومجسدةً أساطيرها بأرباب متمثّلة بتماثيل لها صُنعت من وحي الخيال، لتؤكّد ميثولوجيتها بأسلوب عاطفي يخضع للترغيب والترهيب والثواب والعقارب، عبر آلية طقوس معينة ازدهرت في بلاد الرافيندين، وانتقلت من خلالها إلى شعوب الدول المجاورة لها (بلاد فارس)، وصولاً إلى ساحل المتوسط (الحضارة اليونانية والفينيقية)، وأفريقيا (مصر الفرعونية)، وأوروبا (إمبراطورية الرومانية). ثم تطورت الأساطير إلى المرحلة العلمية في بحثها في نشوء الكون وخلق الإنسان، حتى أصبحت شرائع إلهية تتوارث من ملوك العالم لتحكم بها شعوبها، ما أدى إلى استمراريتها مع طقوسها حتى بعد اعتناق شعوب تلك الحضارات الأديان السماوية التي لم تتمكن من إلغائها من فكر البشر، بل عمدت إلى تلاصق المعتقد بالأسطورة، وربما كان ذلك لاتباقها من بلاد الشرق مهد الأديان السماوية وانطلاقها منها أيضاً.

لذا، عمدت الأديان السماوية إلى تغيير دلالات أساطير الحضارات القديمة وطقوسها بإضفاء الطابع الديني عليها، لتصبح تشريعًا سماوياً يصعب رفضه، وبمنزلة حافز يعلق الإنسان بهذه الآلة لتساعده على استمراريه حياته لاكتناعه بوجود الله تعالى الواحد الأحد الذي يدبر أمره، ويسهّل أمور حياته، ويحميه من البحث في الغيبات التي لم يجد لبعضها، إلى اليوم، تفسيرات علميةً ومنطقيةً.

إنّا كلما تعمّقنا في دراسة الأساطير والطقوس، ازدنا إدراكاً لأهميتها الإيمانية بالنسبة إلى الإنسان؛ من خلال ما يتعلق بمخاوفه من غدر قوى الطبيعة له، أو القدر بالمفهوم الديني، وهو ما يجعله يتمسّك أكثر فأكثر، على نحوٍ تلقائي، بعبادة الله مصدر العجزات، ويقتيد بفروض الصلاة حتى يحميه من مهالك تلك القوى. وعلى الرغم من جدية العلماء في اكتشافاتهم العلمية لبعض مجاهلها

وتأثيراتها في كوكب الأرض وفي الإنسان، فإن الإنسان المتدين اليوم متثبت بمعتقداته السماوي - على تنوّعه واختلافه - كما كان الإنسان عبر التاريخ، معتقداً أنّ هذه القوى الخفية التي مصدرها الكواكب والنجوم في السماء قد خلقها الله وحده منذ بدء الخليقة وتكون الأكوان؛ لتهذيب الإنسان بالثواب والعقاب، وتطويره نحو الأفضل والأرقى بفضيله على سائر الكائنات الحية. فقد خصه وحده بالعقل، وزرع الإيمان في قلبه لعبادته وشكّره على كل النعم التي خلقها له، فأرسل الرسل والأنبياء لتعليم البشر وهدايتهم إلى العمل الصالح ومحبة بعضهم لبعضهم الآخر، والحفاظ على خصوبة أرضهم وحمايتها؛ حفاظاً على استمرارية ذريتهم.

لذا، تأتي هذه الدراسة محاولةً للإضاءة على بعض معتقدات الحضارات القديمة التي تتلاقى في طقوسها وأساطيرها ورموزها دلالاتها مع بعض مظاهر الأديان السماوية⁽¹⁾، مثل: أسطورة الطوفان، وقصة آدم وحواء، وشجرة الحياة المقدسة، وطقسيّة التطهير من حيث التعميد والتقديس والطهارة، والقربانين والنذر والتقديمات، وقد اندثر بعضها الآخر بالتدرج عبر التاريخ. ومن أهمّ هذه الأساطير والطقوس ورموزها ما يلي:

أسطورة الطوفان⁽²⁾

تعتقد معظم الحضارات والأديان السماوية أن الطوفان هو عقابٌ إلهي للبشر بسبب خطاياهم الكثيرة التي أفسدت الأرض، فاغرقوا باليه ولم ينجُ منهم إلا الآخيار والصالحون الذين عادوا لإحياء اليابسة من جديد بذريةٍ لهم الصالحة. وهذا يدلّنا على أنّ بداية الخلق نشأت من مياه المحيطات، وعلى أنّ نهاياتهم أو قيامتهم تكون بإغراقهم في تلك المياه، وما الأرض سوى مرحلة لامتحانهم من الله على حُسن معاملتهم لها، بالزرع والحداد والخصوصية، من الحبوب المتنوعة والحيوانات الأليفة التي حملوها معهم على سفينتهم لاستمرارية بقائهم على قيد الحياة.وهكذا، جاءت عملية تقديس المياه، والتقطيف، والتعميد، كطقوس مرافقة لأسطورة الطوفان والمياه، على أساس مبدأ الثواب والعقاب، وقد تبعتها رمزية السمك والمياه والزرع والخصوصية.

أسطورة الخلق⁽³⁾

انبثقت من هذه الأسطورة أساطير كثيرة؛ من جهة كيفية بدء الآلهة بتكون كائناتها الحية وخلقها من الكواكب والنجوم والبحار والأراضي، وكيفية عبادتها بطرق وأساليب مختلفة، أهمها الأساطير المشابهة لقصة آدم وحواء وارتكانهما للخطيئة بمخالفة القوانين الإلهية، وذلك بأكلهما من الشجرة المحرمة المخصصة للآلهة؛ إذ عوقبا بـ "إسقاطهما" إلى الأرض حيث تزاوجا وبدأت الذرية البشرية تتکاثر، ثم جاء تقديس الشجرة المحرمة وتقديم القرابين والنذر لها لاستمرارها مصدرًا للغذاء والعلاء، وجاء مبدأ الجنة وجيenn، والخطأ والصواب. أمّا موضوع الموت والخلود والبعث، فقد اختلفت الحضارات القديمة التي آمن بعضها بالبعث والحياة بعد الموت⁽⁴⁾ في حلّ مسألته. في حين أقرّت الأديان السماوية، بوجه عام، بعدم خلود الجسد، وخلود الروح فقط، وأنّ الصالح منها يسكن الجنة، وأنّ ما كان منها سيئًا يُعاقب بالنفي إلى أعماق الأرض حيث تأكل أجسادها نار جهنم، وما زال العلماء وال فلاسفة يبحثون حتى يومنا هذا لإيجاد تفسير لبعض هذه المعتقدات⁽⁵⁾.

1 نزير الشوفي، *كشف الحقائق التاريخية*، ج 2 (دمشق: دار اتحاد الكتاب العرب، 2003)، ص 154.

2 سهيل زكار، *المخدوف من التوراة كاملاً* (بيروت: دار قتبة للطباعة والنشر، 2006)، ص 346-345.

3 عباس محمود العقاد، الله: *نشأة العقيدة الإلهية*، ط 4 (القاهرة: دار المعارف المصرية، 1964)، ص 107.

4 نجوى مسلم "الحياة الدينية في مصر الفرعونية"، *كتابه أولئك*، 27/7/2012، شوهد في 22/7/2016، في:

<http://bit.ly/2geVk6g>

5 صموئيل كريم، من *أواح سومر*، ترجمة طه باقر (بغداد/ القاهرة: مكتبة المثنى / مؤسسة الخانجي المصرية، 1970)، ص 159.

لقد شهدت بلاد ما بين النهرين⁽⁶⁾ ومصر الفرعونية⁽⁷⁾ ظهور أولى المعالم الحضارية؛ من أداب وأساطير (أي منذ أكثر من سبعة آلاف سنة)، وأصبحت هاتان الحضارتان مصدر إلهام لمعظم أداب الحضارات المجاورة، حتى البعيدة عنها بفارق زمني يعود إلى آلاف السنين؛ كالأداب الكنعانية (1400 ق.م)⁽⁸⁾ التي طرّتها بما يلائمه معتقداتها، والإلياذة والأوديسة اليونانيتين⁽⁹⁾، ونظريات فلاسفة الإغريق، والركفيدا الهندية⁽¹⁰⁾، والأفستا - الفارسية⁽¹¹⁾، والسمسارا⁽¹²⁾ في عقيدة الفيدا والبوذية في الصين والهند، والأدب العربي⁽¹³⁾ (600 ق.م.)، على الرغم مما بينهما من فارق زمني بعيد.

هكذا تداخلت أهمّ أساطير الحضارات القديمة⁽¹⁴⁾ في خلق العالم وتكونه؛ الموت والعالم السفلي، وقصص الحب (تموز وعشتر)، وقصة الخلود (غلامش ونسبة الخلود)، وأسطورة الطوفان، وقصة الخلق، لأنّم حواء، وسقوط الإنسان في ملحمة "آدابا"، والعقوبات (الجنة ونار جهنم)، والترهيب والتغريب للذان رافقهما التوحيد في عبادة الناس للألهة، والتجسدات الإلهية لـ "بودا" متقدماً أدوار الألهة، وتقديس الحيوانات الأسطورية، لتتدخل أيضاً مع الأديان في الجن والعفاريت من خلال شكل "السفنكس" Sphinx و "السانتورات" Centaurs.

سردت الأوديسة والإلياذة ملاحم أديبية تناولت فيها معظم هذه الأساطير السومرية والبابلية⁽¹⁵⁾. وقد انتقلت إليها من خلال أحداث الحرب والسلم، وعبر التجارة إلى شعوب البحر المتوسط؛ كالكنعانية، والحبشية، والفارسية، والإغريقية، والرومانية، والفينيقية، والأرامية، وبطبيعة الحال من خلال الشعوب المحلية لتلك البلاد من الأكاديين، والبابليين، والأشوريين، والكلدانيين، وشعوب الجزيرة العربية، وغيرها من الشعوب والحضارات التي تمازجت مع حضارة سومر الأولى، وكانت امتداداً لها.

إذن، شكّلت بلاد الرافدين موقعاً جغرافياً إستراتيجياً لتلاقي الحضارات، ونقطة التقاء وتوصال في ما بين تلك الشعوب، ومصدراً توثيقياً لبداية التاريخ للعالم القديم، وصولاً إلى العالم الحديث. فتناولت الشعوب هذه الأداب عبر كھتها، لتصل إلى ملوكها وجيوشها، وإنجذبت لتراثها وأساطيرها الجميلة التي تُظهر حضارتها الراقية، ومزجتها بآدابها.

أهمّ الأساطير والطقوس في الحضارات القديمة المتلاقة مع الأديان

تناولت هذه الدراسة أهمّ الأساطير والطقوس في الحضارات⁽¹⁶⁾ القديمة ودورها في كيفية انتقال بعضها إلى الأديان، على امتدادها التاريخي والجغرافي من بلاد ما بين النهرين وببلاد فارس إلى جنوب أوروبا، وبحر إيجة، والساحل السوري، وشمال أفريقيا، ودول

6 علي أبو عساف، الأراميون: تاريخاً ولغةً وفنًا (طرطوس: دار أماني للطباعة والنشر، 1988)، ص. 73.

7 جيمس هنري برستد، صفحات من تاريخ مصر، ترجمة حسن كمال (القاهرة: مكتبة مدبلولي، 1990)، ص 56-58.

8 أبو عساف، ص. 74.

9 حسام المنفي، "المدارس الملطية: أول المدارس الفلسفية عند الإغريق"، الحوار المتمدن، 13/5/2015، شوهد في 30/10/2016، في: <http://bit.ly/2f3xbmC>

10 مهارishi ماهش يوغي، البهاغavad غيتا، ترجمة علي مولى (ويلتسشایرد، 1965)، ص 11-12.

11 خليل عبد الرحمن، أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية (دمشق: دار روافد للثقافة والفنون، 2008)، ص 33.

12 المرجع نفسه، ص 14.

13 سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد (بيروت، لبنان: دار النفائس 1985)، ص 33-31.

14 فيليب سيرنج، الرموز، في: الفن-الأديان-الحياة، ترجمة عبد الهادي عباس، ط 2 (دمشق: دار دمشق للنشر، 2009)، ص 132-133.

15 إيمان رجب الشلقاني، "ملحمنا الإلياذة والأوديسة: مكافحة لأعمق الغفوس في تقليباتها"، الرافد، 12/11/2011، شوهد في 26/11/2016، في: <http://bit.ly/2zemYt5M>

16 يوسف أحمد داود، الميراث العظيم (دمشق: دار المستقبل، 1991)، ص 109.

الخليج العربي، وسلطنة عمان، واليمن، وصولاً إلى الهند، مشكلاً عمليةً هندسيةً انتقاليةً من تاريخ العالم القديم إلى عالم الأديان الجديد، متتجاوزةً العرق واللغة، متأثرةً بميثولوجيتها الفلسفية إلى حد التشابه في بعض نصوصها، وهي: الطوفان، ونشأة الخلق، والتطواف، وقصة آدم وحواء، والطهارة والتطهير، والقرباني والنور.

1. الطوفان في الحضارات القديمة

بدأت أولى أساطير الطوفان في بلاد ما بين النهرين، بحسب ما كشفت عنه الألواح الموجودة في خزائن الإله "نبو" Nebo إله الحكمة والمعرفة في مكتبة أشور بانيبال (663 ق.م - 668 ق.م) التي اكتشفها العالم الإنكليزي جورج سميث في خراب نينوى عام 1900، وعلى الحجر المسماً "سارداتا بولس" Saredta-Polis الذي يحكي عن أسطورة الطوفان⁽¹⁷⁾ (عام 3500 ق.م تقريباً)، وقد سجلت أربع مدن رئيسية قديمة في جنوب العراق، هي: أور، والورقاء، وكيش، وشوروبياك. وتحكي السجلات الموجودة⁽¹⁸⁾ أنَّ الإله "إنليل" (بعل - بيل) أغرق تلك المدن بالياه، لغصبه عليها (في عهد جمدة نصر عام 3500 ق.م تقريباً) بسبب فسادها، وأنَّه أرسل إلى نوح كاهن ثوطرس (أوتو نيشتييم) أن يصنع له فُلكاً (مركبًا) لأنَّه الوحيد الذي لم يشارك في الفساد؛ لذلك نجا هو وعائلته.

الطفوان عند السومريين⁽¹⁹⁾

كان الطوفان رمزاً مقدساً لأنَّ فيضان نهري دجلة والفرات جعلهم يُشقون قنوات الري، فكان أعظم إنشاء في ذلك الوقت، سنة 4000 ق.م (رمز ثواب وليس رمز عقاب).

الطفوان في بابل⁽²⁰⁾

ذكر الطوفان ورمزيته على مسلة حمورابي (1792-1750 ق.م)، وهي شبيهة بما كتب على حجر "سارداتا بولس"، فظهرت أسطورة الطوفان على الألواح السبعة السومرية في خراب نينوى، بابل؛ وهي أنَّ للحياة الخالدة سُرًّا إلهياً على الرغم من أنَّ إلهة الحكمة "آدابا" علمت حكيم "أريدو" جميع العلوم إلا سر الحياة الأبدية. وظهرت أسطورة أخرى تعتقد أنَّ الآلهة أرسلت الطوفان العظيم لعقاب البشر المخطئين، وأنَّه لم ينجُ منهم سوى رجل واحد اسمه "تجتونج" الحراس، ولكنه خسر الخلود؛ لأنَّه أكل من ثمار الشجرة المحرمة.

كما وُجد نقشٌ بالي طينيٌّ مفاده "أنَّ الآلهة قررت التخلص من البشر لأنَّهم تکاثروا جداً، وبدأ ضحيتهم يزعج الإله "إنكي" وبقية الآلهة، فكان الطوفان هو السبيل للتخلص منهم عن طريق إغراقهم والقضاء عليهم. لكنَّ الإله "إنليل" أحبَّ البشر، فسرَّب معلومة الطوفان إلى ملك دولة سبار "زيو سودرا" الذي سارع إلى بناء فُلك كبير للنجاة من كارثة طوفان الأيام السبعة الرهيبة، لينقذ الجنس البشري من حكم الآلهة، فنَعم زيو سودرا بالحياة الأبدية مع الآلهة بعد الطوفان في جنة دلومن الخالدة (البحرين اليوم)، وأعاد إلى الجنس البشري ذريته حيث انبثق من المياه إلهان، هما: "إيسسو" إله المياه العذبة و"تیاما" إلهة البحور المالحة⁽²¹⁾.

17 فراس السواح، *مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة*، سوريا، أرض الرافدين، ط 13 (دمشق: علاء الدين للنشر والتوزيع، 2002)، ص 56.

18 عبد الله حسين، *تاريخ ما قبل التاريخ* (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014)، ص 88.

19 السواح، ص 56-57.

20 سيرنج، ص 360.

21 هيثم القييم، "ميثولوجيا الطوفان في الحضارات القديمة..!"، 2015/6/21، شوهد في 26/11/2016، في:

الطفوفان في الحضارة الهندية⁽²²⁾

اعتقد الهنود عقوبة الطوفان؛ إذ أمر الملك "ساتيَا فرایتا"، بعد أن علم بقدوم الطوفان من حكمائه ومعاونيه أن يبنوا له فُلكًّا للنجاة ويسعوا عليه كل ما يلزمهم من حيوانات ونباتات للغذاء طوال مدة الطوفان. كما تجسد الإله "فشنو" في هيئة الخنزير البري "فاراهة" لاتهامه حامي البشر، لينفذ الأرض من خطر فيضان المياه. فاحتشدت الآلهة لمشاهدة الحدث في كهف أودايا جيري. وفي إحدى الميثولوجيات الهندية عن الطوفان، تلقى الحكيم "مانو" نبأً قرب الطوفان من الإله "فيشنو"، وكان أثناء ذلك قد ربَّ سمكةً صغيرةً طلبت منه الحياة، حتى كبرت وأصبحت ضخمةً جدًا، لترحِّس البحار من الطوفان⁽²³⁾. فجاء الأمر إلى الحكيم "مانو" أن يركب السفينة ويملاها بزوجين من أنواع الكائنات الحية كلّها.

عندما جاء الطوفان ربط الحكيم مانو السفينة بمساعدة السمكة العملاقة التي ربّاها وأطلق عليها اسم الشaban "فاسكو"، وكان الإله "فيشنو"⁽²⁴⁾ قد تجسد داخل هذه السمكة الكبيرة ليستطيع إنقاذ بلاد فيسفاتا من الطوفان، وهكذا ظنَّ العالم أنَّ السمكة الكبيرة أنقذتهم من الطوفان، وأصبحت رمزاً كونيًّا مرتبطة بفكرة شريعة الأسماك التي تشبه بموضوعها شريعة الغاب "القوي يأكل الضعيف"، والإله "فيشنو" بمنزلة النبي في تعاليم "الفيدا" المقدسة عند الهنود كما هو الشأن بالنسبة إلى "نوح" Noah في الأديان السماوية. يضاف إلى ذلك قصة الحوت الذي ابتلع النبي يوئيل، وهي قصة استمرت مع الأديان، ليخرج منه وينقذ الناس من الضلال.

الطفوفان عند الإغريق

تنبأ والد ملك تساليا بأنَّ الطوفان مقبل، فأخبر ابنه بأنَّ عليه النجاة من الطوفان، فبني ملك تساليا له سفينة ونجا مع عائلته⁽²⁵⁾.

الطفوفان عند الفُرس

يرمز الماء في الميثولوجيا الفارسية إلى العقاب، أحياناً، كما أنَّ له دلالة على الحياة والبعث والتجدد. ويُذكر أنَّ الإله "أهريمان"⁽²⁶⁾ (إله الشر) غضب من فساد البشر الذي يعمُّ العالم، فقرر أن يعاقبهم وبطشهم من الذنوب والفساد، فأرسل عليهم الطوفان وأغرقهم بمياه "أردفي"؛ أي النهر في الديانة المزدكية⁽²⁷⁾، لتطهيرهم من ذنوبهم.

الطفوفان عند المصريين

يعتقد المصريون الفراعنة⁽²⁸⁾ أنَّ العالم انبعق من المياه، وأنَّ الخليقة منها جاءت، إذ يعمَّ فيضان النيل الأرض المصرية كلَّ عام، فتنتعش بالماء وتعود الخصوبة إلى الحياة النباتية. وهكذا تتم دورة الحياة كالمياه، وتقام لها الصلاة لاعتقادهم أنَّ الماء هو نقطة المركز لدائرة التكوين بالنسبة إلى الأرض والكائنات الحية التي تعيش عليها. كما كانوا يحتفلون بموت "أوزيريس" ولقبه إله النيل المبارك

22 Oppi Untracht, *Tradition Jewelry in India* (London: Thames & Hudson, 2008), pp. 308-312.

23 ثروت عكاشرة، موسوعة تاريخ الفن: العين تسمع والأذن ترى، الفن الهندي (القاهرة: دار الشروق، 2005)، ص. 100-95.

24 جيلير دوران، الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة مصباح العمد (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1993)، ص. 194.

25 فاروق الدملوجي، تاريخ الأديان (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004)، ص. 391.

26 سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي، ترجمة سامي سعيد الأحمد (بغداد: مطباع دار الحرية، 1980)، ص. 43.

27 دوران، ص. 203.

28 سيرينج، ص. 351-350.

كل عام، ويرمزن إلى موته بارتفاع النيل وانخفاضه؛ أي موت الأرض وحياتها، كما اعتقادوا أنَّ الإله "سيت" Sett جفَّ الأرض بقتله أوزيريس، وأعادت الآلهة الكبيرة إليه الحياة بفيضان النيل على الأرض، فأخصبها بالشجر والحيوانات والبشر.

2. الطوفان في الأديان السماوية

الطفوفان عند اليهود

"وَحَدَّثَ لِي أَبْدَأُ النَّاسَ يَكْثُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ، وَوَلَدَ لَهُمْ بَنَاتٍ، أَنَّ ابْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتَ النَّاسِ أَنْهَنَ حَسَنَاتِهِنَّ، فَاتَّخَذُوهُنَّ لِأَنفُسِهِنَّ نِسَاءً مِّن كُلِّ مَا اخْتَارُوا" (سفر التكوين، الأصحاح 6:1-2).

"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصُورٍ أَفْكَارٍ قَلِيلٍ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلُّ يَوْمٍ. فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأْسَفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحَوْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ إِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتَهُ، إِنْسَانَ مَعْ بَهَائِمٍ وَدَبَابَاتٍ وَطَيْوَرِ السَّمَاءِ، لَأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ" (سفر التكوين، الأصحاح 6:7-2).

فقال الله لنوح: "اصنع لنفسك فلكًّا من خشبٍ جُفِّرٍ. تجعلُ الفلك مساكنَ، وتطليله من داخل ومن خارج بالقارب" (سفر التكوين، الأصحاح 14:6).

"فَهَا أَنَا آتٍ بِطَوْفَانِ الْمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ لِأَهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحٌ حَيَاةٌ مِّنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ يَمُوتُ. وَلَكُنْ أَقِيمْ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفَلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتِكَ وَنِسَاءَ بَنِيكَ مَعَكَ. وَمَنْ كُلُّ حَيٍّ مِّنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ تَدْخُلٍ إِلَى الْفَلَكِ لِاستِبْقَائِهِ مَعَكَ. تَكُونُ ذَكْرًا وَأَنْشِيًّا مِّنَ الطَّيْوَرِ كَأَجْنَاسِهِ، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهِ، وَمِنْ كُلِّ دَبَابَاتِ الْأَرْضِ كَأَجْنَاسِهِ. اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ تَدْخُلٍ إِلَيْكَ لِاستِبْقَائِهِ" (سفر التكوين، الأصحاح 6:17-20).

"لَأَنِّي بَعْدَ سَبْعةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أَمْطَرَ عَلَى الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحَوْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتَهُ" (سفر التكوين، الأصحاح 7:4).

غمر طوفان الماء كل العالم مدة أربعين يوماً وليلة، وأنقذ نوح ومن معه من أبنائه (سام، وحام، وبافث)⁽²⁹⁾. وبعد مئة وخمسين يوماً، انحسرت المياه، واستقرت الفلك على جبال أرارات. وبعد مضي أربعين يوماً فتح نوح طاقةً في الفلك، وأرسل الغراب فخرج متربداً، ثم أرسل الحمامات ليرى هل انخفضت المياه، فرجعت إلى الفلك، ثم أعادها فحملت ورقة زيتون خضراء. وبعد سبعة أيام أرسلها، فلم تعد فعلم أنَّ المياه انحسرت. فكشف نوح غطاء الفلك، وأصدع محركات البخور على المذبح. فشمَّ الرب رائحة الرضا، وبارك الرب نوحًا وبنيه وابتدأ نوح حياته فلاحًا.

وقال أحد علماء الآثار إن قصة الطوفان التي ذكرتها كتاب التوراة لم تكن أصليةً، وإنما هي من المبتكرات السومرية التي اقتبسهاbabylonians من سومر، ووضعوها في صيغة الطوفان البابلي⁽³⁰⁾.

29 الدملوجي، ص.391

30 Samuel Noah Kramer, *In the World of Sumer* (Wayne State: Wayne University Press, 1988), p. 240.

الطوافان عند المسلمين

أكمل الإسلام، من خلال القرآن الكريم، أن الطوفان جاء في منطقة محددة وليس في العالم كله، وأنه خاص بقوم نوح فقط⁽³¹⁾. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمْ يَفِهُمْ أَلْفَ سَيِّةً إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: 14). ويدلل هذا الأمر على أن المياه رمز لعقاب المذنبين أيضًا. وفي هذا السياق، نذكر قوله تعالى: ﴿كَذَّبُتْ قَوْمٌ نُوحُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: 105)، وقوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلُكِ الْمَسْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (الشعراء: 119-120)، وقوله أيضًا: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفرقان: 37).

قصة الخلق

1. الخلق في الحضارات القديمة

أسطورة الخلق في بلاد ما بين النهرين⁽³²⁾

عرف إله النهر عند السومريين والأكاديين بالإله "أوها"، أو "ياوه" أو "يهوه"؛ أي "جوشوا"، أو "آيا" أو "يا أهيه"، أو "أهوا" ، وهي صفات متعددة للإله الواحد، وُعرف أنه كان يجلس على كرسى على سطح الماء بعد أن قتل جده "إيسسو" ، وأنه بنى معبده فيه "إي ساكل". وكان الإله "إنكي" أحد أهم أركان الثالوث الإلهي المقدس البابلي (أنو- إنليل أو بعل - آيا) ابن الإله "أنو" وزوجته (دام كينا) وأنجبا الإله "مردوخ" (أو "مردوك") في أعماق المياه، فأحبّ البشر وعمل على إنقاذهما، ووضع الإله "آيا- إنكي" كرسيه على الماء.

أسطورة الخلق عند السومريين

يُعد السومريون⁽³³⁾ أقدم من وضعوا أسطورة الخليقة وأصل الوجود، وكانوا يعتقدون أن المحيط هو البحر الذي تولدت منه الكائنات ثم خلقت السماء والأرض وغيرها، وأن "البحر" (وهو مذكر)، و"تياما" (عنصر الماء المؤنث)، تزاوجا، فولدوا "آن" إله السماء و"كي" إلهة الأرض، ثم تزوج الإله "آن" والإلهة "كي" وأنجبا الإله "إنليل" إله الهواء ليثير طريق الظلام لأبيه، وأنجب "نينا" الإله "أتو" ، وهو الإله "شمش"⁽³⁴⁾؛ أي إله الشمس، وأشرق نورًا أكثر من أبيه، ثم إن الإله "إنليل" اتحد بأمه "كي" إلهة الأرض، ليثمر اتحادهما ظهور الحياة والحيوان والنبات على سطح الأرض بمعاونة جميع الآلهة.

أسطورة الخلق عند البابليين

يعتقد البابليون⁽³⁵⁾ ، كما يعتقد السومريون⁽³⁶⁾ ، أنه لم يسبق الخليقة أرض أو سماء ولم يكن يوجد سوى الظلام الدامس أو العماء أصل المادة، ومنه انبثق المياه الأولى، فولد منها إلهان "إيسسو" (عنصر الماء العذب الذكر)، و"تياما" ، ومنهما توالت الآلهة الكثيرة،

31 الدملوجي، ص.391.

32 سيرينج، ص.380-382.

33 الدملوجي، ص.380.

34 أندرية إيمار وأخرون، تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة، ج 1 (بيروت: دار عويدات للنشر والطباعة 2003)، ص 179.

35 أسامة عدنان يحيى، "كيف خلق الكون... نظرة في أساطير بلاد الرافدين" ، حضارات قديمة، 31/10/2014، شوهد في 30/10/2016، في: <http://bit.ly/2gHdyST>

36 ويل ديوانت، قصة الحضارة: السومريون، ترجمة زيكي نجيب محمود (بيروت: دار الجيل، 1998)، ص 223-234.

رمز المادة الأساسية. ويعتقدون أنّ الآلهة القديمة تصارعت مع الآلهة الجديدة، فقتل الإله "آيا" أباه الإله "إيسو"⁽³⁷⁾، وكانت من جسم والده القتيل مياه المحيط والبحر السفلي، ثم تولدت منه الأرض لخصوصية، وبني معبده وسط الماء وسماه "إي إيسو". أما الإله مردوخ ابن الإله "آيا"، فقد قتل الأم العاتية "تيامة" وقطعها إلى نصفين: النصف الأول السماء، وهو الأعلى، وخلق فيه الكواكب السبعة والبروج، والشمس والقمر، ورتب الكون ونسقه بنظام دقيق، ثم قسم الكهنة الأسبوع إلى سبعة أيام على نهج خلق الكواكب السبعة وجاء، مقارنةً باليهود اليوم الذين يدعون اليوم السابع مقدساً. أما النصف الثاني وهو الأسفل من جسمها، وكان أرضًا، فخلق عليه جميع الكائنات الحية.

نشأة الخلق عند الفُرس

عرفت الإلهة "أناهيتا"⁽³⁸⁾ بنبع ماء الحياة، ويعتقد الفُرس أنّ الإله "ميشرا" ولد بالقرب من جدول ماء وهو رمز البعث والتتجدد والخلود؛ لأنّ الماء⁽³⁹⁾ سبب بداية أحداث الكون ونهايته.

أسطورة الخلق عند الفراعنة

اعتقد الفراعنة أنّ أصل الوجود وال الخليقة هو بيضة عملاقة طفت على وجه البحار، فخرج منها إله الشمس وانبثق منها الإله "شو"، وإله الفضاء "تفنوت"، وتوت إله السماء، وجب إله الأرض، فتزوجت بعدها الأرض بالسماء وولدا الكائنات الحية جميعها، وكانت روح الإله "آمون" تطوف من بين أرواح كثيرة في الفضاء، فخلق الأرض والسماء والبشر وكل شيء.

أما الإله "آتون" (الشمس)، فكان وحده مشرقاً في المحيط المظلم. فخلق الآلهة والبشر وكل الكائنات الحية والكواكب والأرض. والإله "أونو"⁽⁴⁰⁾ هو إله الماء الأزيز مصدر كل شيء ويمثل المحيط الذي يغلف العالم وسيد الأسماك، وهو أول العناصر الشمانية في تكوين الخلق، وفي أسطورة أوزيريس وإيزيس⁽⁴¹⁾؛ حيث تلعب عقدة الصياد ورمز البحار (السمكة) بالطفل الصياد الذي يرى جثة والدة إيزيس، وتبتلع السمكة جثة أوزيريس وأعضاءه الأربع عشر (رمز الخصوبة والولادة)، ورمز الأم والابن والأب (الثالوث المقدس).

وكانت طقوس أوزيريس في مصر تقضي تشكيل بيضة من التراب أو الطحين المعجون بالطيب، كما أنها تقضي تقدس العجل لأنّه ينتج روًحاً تولد منه الديдан، وتجعلها أعشاشاً لها (رمز للخلق بعد الموت)، وتقضي تقدس الجنان أيضًا⁽⁴²⁾، ورمزه الإله "خيري" الذي يضع بيضه في روثه ويحرجه إلى الخلف حتى يستقر في مكان آمن يقظ فيه (رمز للبعث والتتجدد). وأصبحت البيضة رمزاً لولادة الكون والحياة والبعث من جديد، ويُستخدم الجنان أيضًا تعويذة⁽⁴³⁾ حاميةً من الشرور، ويُستخدم كذلك لجلب الحظ بالنسبة إلى الأحياء، وللحماية من القرىن بالنسبة إلى الأموات.

³⁷ يحيى.

³⁸ دوران، ص 207.

³⁹ لويد، ص 43.

⁴⁰ أنطوان زكري، تاريخ مصر القديمة: الأدب والدين عند قدماء المصريين (القاهرة: مطبعة المعارف، 1923)، ص 65.

⁴¹ دوران، ص 193.

⁴² جيمس هنري بروستد، ص 53.

الخلق عند الهندو والصينيين

يرى كلّ من الهندو والصينيين أنّ نشأة خلق الكون من البيضة الذهبية⁽⁴⁴⁾ التي كانت تطفو على سطح البحر فانفجرت وتناثرت منها الحياة، وكان الإله براهما هو الذكر والأثني، الأب والأم بالنسبة إلى جميع الأحياء. فهو مبدأ كل شيء ومنه ظهر كل شيء حي؛ كظهور الشجرة من التواة، وهو جوهر العالم وأساس مبدأ الوجود. وقد أنشئ معبد "قبة" في شكل بيضة، ويُعرف بـ"الستوبة"، وهو ممر للحجاج حيث يطوفون حوله. ويُؤدي هذا الطقس المؤمنون بـ"بودا"، ومن أجل ذلك، أقيمت هذا المعبد في القرن الأول الميلادي⁽⁴⁵⁾. وقد عُدّ معبد "الستوبة" رمزاً مقدساً لعبادة الإله "شفقا"، حيث يؤمّه المؤمنون ويقومون فيه بعدة طقوس ويقدمون له التقديمات كل سنة. وتجسد الميثولوجيا داخل "الستوبة" أنواعاً مختلفةً لحياة "بودا" وتقمصاته في الدنيا، وقد عرفت بـ"ستوبة سانشي"، وتمثل ولادة بودا حيث يجلس الإله "مايا" فوق زهرة اللوتس في البحيرة الذهبية ويتطهّر في نهر الغانج، قبل الاعتراف والتبيّن بولادة بودا الذي حمله الأفعى الأسطورية من مياه الأمطار حتى لا يفرق.

كما يعتقد الهندو أنّ نهر الغانج⁽⁴⁶⁾ أساس خلق الكون عند الهندوس، وأنّ تجدد المياه يعني البعث من جديد، حيث يلقون رماد موتاهم في النهر، لتبعث أرواحهم، وتكون رمزاً للخلود والحياة الجديدة، كما يعتقدون أنّ نهر الغانج هبط من السماء كإله النهر "جانجة"، فاستقبله الإله شيفا ليتعلق بحذائه الطويلة التي تشبه السلسلة، حتى لا يرتطم بالأرض ويدمرها.

2. الخلق في الأديان السماوية

الخلق عند اليهود

بحسب قصة الخلق عند اليهود، فإنّ الله قضى على العمر المائي وهو أول موجودات الوجود كمحيط أزيٰ مظلم يشبه وحشاً خرافياً عظيماً سمّته "الواياتان"، وهو التنين ذو الرؤوس المتعددة، ويشقّه الله "يهوه" إلى نصفين ويصنع منها السماء والأرض، ثم استمر على أمر الخلق ستة أيام استراح بعدها ربّ من عناء عمله في اليوم السابع وجلس على العرش. "وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الضراء ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه [...]" وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه، ول يكن فاصلاً بين مياه ومياه، فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والتي فوق الجلد، وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء"⁽⁴⁷⁾.

وتتألف قصة أسبوع الخلق⁽⁴⁸⁾ من ثمانية أوامر إلهية، نفذت في ستة أيام وتبعها يوم سابع للراحة: "في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خربةً وخاليةً وعلى وجه الضراء ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور" (سفر التكوين، الأصحاح الأول: 1-3).

في اليوم الأول: خلق الله النور وهذا أول أمر إلهي (ليكن نور). وفصل النور عن الظلمة فسمى "النهار" و"الليل". وفي اليوم الثاني: خلق الله الجلد، وهذا ثاني أمر (ليكن جلد)، ليفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وسمى الجلد "السماء" (سفر التكوين، الأصحاح الأول: 1-3؛ سفر التكوين، الأصحاح الثاني: 2-3) في بدء خلق السماوات والأرض. وهكذا نجد تقارباً في عملية

44 عكاشه، ص 95-97.

45 المرجع نفسه، ص 99-100.

46 Jean Filliozat, *L'Inde Classique, Manuel des Etudes Indienne*, vol. 11, 2ème edn. (Paris: FEO, 1985), pp. 711-712.

47 زكار، التوراة، ص 230-234.

48 المرجع نفسه، ص 202.

الخلق؛ ذلك لأن الله خلق المياه والبحار أولاً، ثم السماء وما تلاها من كواكب ونجوم، ثم خلق الأرض، فالإنسان. وترمز البيضة إلى البعث من جديد (عيد الفصح اليهودي)، وفي الحضارات القديمة، وترمز الشجرة⁽⁴⁹⁾ إلى بداية الحياة (الخير) ونهايتها بالموت (الشر)، ثم إلى يوم الميعاد والحساب بالثواب والعقاب، وتعاقب دورات الحياة المختلفة بالنسبة إلى الشجرة مشابه للدورات الزمنية لدورات حياة الإنسان⁽⁵⁰⁾، وهي ترمز إلى ولادة النبي إبراهيم أيضاً، ووتد هيكل سليمان رمز الكباля "شجرة الكرمة".

الخلق عند المسيحيين

"وأقسم بالحي إلى أبد الآيدين، الذي خلق السماء وما فيها والأرض وما فيها والبحر وما فيه: أن لا يكون زمان بعد" (سفر رؤيا يوحننا اللاهوتي، الفصل 10:6).

"دعا بولس عابدي الأوثان إلى ترك هذه الأباطيل (الأصنام) والرجوع إلى الإله الحي الذي صنع السماء والأرض والبحار وكل شيء فيها. إذا كان الله قد خلق الحياة، فلا بد أن يكون حياً، الله هو الإله الحي، لكن الأصنام لا تمتلك هذه القدرة"⁽⁵¹⁾. الماء هو الأم، بطん الطبيعة الدائمة العذريّة، الأبدية الخصوبة، هي المياه الطبيعية ويرمز بذلك إلى الأم مريم العذراء والدة يسوع المسيح، وقد لقبت بـ"القمر الروحي" وـ"كوكب البحر" وـ"ملكة المحيط". وبينادي المسيح السامريين⁽⁵²⁾: "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا، الفصل 4:14).

ويسمع يوحننا في سفر الرؤيا الكلمات التالية أنه يعطي من ينبوع ماء الحياة مجاناً (سفر رؤيا يوحننا اللاهوتي، الفصل 21:6). ثم يصف لنا نهر الحياة الذي ينبع من عرش الرب والحمل (رمز المسيح)، (سفر رؤيا يوحننا اللاهوتي، الفصل 22:1). وترمز الآبار أيضاً إلى الروح القدس مصدر الماء الحي للمسيحيين أو ينبوع الحياة⁽⁵³⁾ في القرن الثالث عشر ميلادياً.

الخلق عند المسلمين⁽⁵⁴⁾

وردت عدة آيات في القرآن تتحدث عن الخلق، منها:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَتَلَوُّكُمْ إِلَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود:7).

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ (إبراهيم: 48).

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: 11).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ (الجديد: 4).

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ إِنِّي بِأَوْكَرِهَا﴾ (فصلت: 11).

⁴⁹ André Lemaire, *Les écoles et la formation de la Bible dans l'ancien Israël* (Paris: Fribourg/ Göttingen, 1981), p. 110.

⁵⁰ دوران، ص 324.

⁵¹ المرجع نفسه، ص 204-205؛ (سفر أعمال الرسل، الفصل 14:14).

⁵² Peter Fox, *Text and Script*, 2nd edn. (Dublin: Library Dublin, 1990), p. 112.

⁵³ George Anderson, *The Insular Gospel* (London: Thames & Hudson, 1987), pp. 300-307.

⁵⁴ إيمار وأخرون، تاريخ الحضارات العام: القرون الوسطى، ج 3، ص 117-120؛ وانظر: الدملوجي، ص 656.

قصة آدم وحواء

1. آدم وحواء في الحضارات القديمة

قصة آدم وحواء عند السومريين، قصة الخطيئة الأولى

وجد المنقبون وعلماء الآثار في العراق نقشاً سومريّاً في شكل (ختم أسطواني)، يسرد قصة آدم وحواء منقوشة بطريقة تشكيلية، حيث يُصوَّر رجل على رأسه قلنسوةً أو "قرني"، وامرأة حاسرة الرأس، وهما في حالة جلوس فوق كرسفين متقابلين وبينهما شجرة نخيل (شجرة الحياة المحرمة)، وكلاهما مأدِّيده نحو جذع التمر المتلقي من النخلة الذي يُقابله. وتظهر الحية واقفةً متتصبةً خلف المرأة، مغيرةً إياها بالأكل من التمر وإطعام حبيبها، من دونأخذ موافقة الآلهة.

قصة آدم وحواء في الأسطورة البابلية⁽⁵⁵⁾

تحولت جزيرة دلون قديماً (البحرين اليوم) إلى جنة بعد اتحاد الإله إنكي بالإله الأم الأرض "نينهورساج" التي غضبت من زوجها إنكي؛ لأكله ثمانية نباتات مقدسة ومحرمة، فألقى عليه بلعنة الموت قائلة: "إلى أن يوافيك الموت لن أنظر إليك بعين الحياة". وحلّت اللعنة على كل المياه والمحيطات؛ لأن إنكي يُمثّل إله المياه. وهكذا شحّت المياه، ولم يتبق للأرض من مياه تشربها، ولم يستطع إنكي رى الأرضي وإنبات المزروعات فعم الجفاف والقحط والمجاعة كل العالم.

توسيط كبار الآلهة لإقناع نينهورساج بالغفو عن زوجها إنكي؛ لأنها الوحيدة القادرة على شفائه، فقبلت وساطتهم وخلقت لشفاء أمراضه الشمانية آلةً بعدها وكانت أبشعهن الآلهة التي أزالت الألم من ضلع صدره، فأبرأته وحدها، من بين الآلهة الشماني، وهي تُسمى "نن تي"؛ أي سيدة الصلح بالسومرية، وتدل على الحياة؛ أي السيدة التي تُحيي. لذا، نراها في الأسطورة تقوم بشفاء ضلع الإله المريض إنكي.

هكذا، توارثت الشعوب هذه الميثولوجيا، ثم انتقلت معها عبر الأديان السماوية، وقد جاء فيها أن المرأة ولدت من ضلع الرجل؛ بمعنى أنّ حواء ولدت من ضلع آدم. وورد في الحديث "استوصوا النساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء من الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا النساء"⁽⁵⁶⁾.

قصة آدم وحواء عند البابليين⁽⁵⁷⁾

كانت الآلهة في هيئة البشر بأرواحها، وكانت قواها كبيرةً، لأنها هي التي خلقت أبا البشر "لولو" من دم الإله المذنب "كتوكو" قائد حرب الإله "تياماً"، بعد أن مزجته بالتراب، وخلقته على صورتها، فحمل صفاتها ليعبدوها في الجنة ويخدمها ليؤمن لها مؤونة العمل والحياة. ويعُد هذا جزءاً أبدياً على أبي البشر "لولو" يقدمه للآلهة مع أبنائه مدى الحياة؛ لأن زوجته أكلت من الكرمة المحرمة

⁵⁵ الحكيم البابلي، "جذور اقتباسات الأديان التوحيدية: الجزء الأول"، الحوار المتمدن، 2011/8/17، شوهد في 14/7/2016، في: <http://bit.ly/2goikjL>

⁵⁶ رشيد كهوس، "هل خلقت المرأة من ضلع أعوج؟!، الألوكة، 2009/10/4، شوهد في 30/10/2016، في: <http://bit.ly/2fHO4SL>

⁵⁷ البابلي.

شجرة معرفة الخير والشر الخاصة بالآلهة والمحرمة على البشر، فُطردت مع "لولو" المخلوق من الطين، وعاشا على الأرض وأخضبها بالبشرية والمزروعات.

قصة آدم وحواء عند الفُرس⁽⁵⁸⁾

تقول الأسطورة الفارسية عن خلق آدم وحواء: إنَّ الإله الكلَّي القدرة (أهورا مزدا) إله الديانة الزرادشتية خلق "غايومارت" الذي عاش ثلاثة آلاف عام روحًا بلا جسد، ثمَّ تحول إلى شاب وسيم، وبعد أن عاش ثلاثين سنةً إنسانًا، قام الشيطان "أهريمان" بتسميمه وقتلَه، بعد تحريره من جي Gee العاهرة التي تزاوجت مع "غايومارت" على الرغم منه، ومن بذرته نمت كل البشرية التي أتت من أب وأم "ماشي" و"ميشان" (مثل آدم وحواء) وقد تركا عبادة "أهورا مزدا" إله الخير وتبعاً غواية الشيطان "أهريمان"، لِذا حكم عليهما الإله "أهورا مزدا" بالعذاب الأبدي في الحياة على الأرض.

2. آدم وحواء في الأديان السماوية

قصة آدم وحواء عند اليهود

ذكرت هذه القصة في التوراة (سفر التكوين، الأصحاح 3:1-14). وـ"الثعبان هو الفردوس الأرضي مع بقائه أكثر الحيوانات مكرًا، وهو رمز الشر، والشيطان بثوب ثعبان الذي أغوى حواء لتلقي بذنب التكبير، وهو أكبر من كل الذنوب لأنها سمعت نصيحة الشيطان وخرقت القانون الإلهي"⁽⁵⁹⁾. وتفسير قصة الثعبان وحواء أنَّ الله حرم على الإنسان أن يأكل ثمرة شجرة معرفة الخير والشر، هو مفهوم حسي متعلق بالسعادة والشقاء. أما الأكل من الشجرة، فهو تجربة هذا الشقاء الذي يرمز إلى الموت، لكنَّ الشجرة ترمز إلى الحياة؛ لأنَّ الله يرمز إلى الخير ولا يعطي إلاَّ الخير، كما يرمز إلى حواء بالخطيئة لأكلها التفاحة من الشجرة بعد أن أغواها الشيطان الذي اتخذ جلد الثعبان، والذي امتحن إيمانها بالله. وتشككها في إيمانها دفعها إلى ارتکاب الخطيئة والسقوط إلى الأرض مع آدم لإنتاج البشرية⁽⁶⁰⁾.

قصة آدم وحواء عند المسيحيين

رمز إلى الشيطان عند المسيحيين بالثعبان مع آدم وحواء، وظهر ذلك في بداية التبشير المسيحي، كما مُثلَّ المسيح مصلوبًا على شجرة يلتقي على أسفل جذعها ثعبان حيث يوجد آدم وحواء. وفي بعض الأنجليل، ترمز الشجرة إلى رؤى القيسين عن أسطورة الأشجار الثلاث أو الأقمار الثلاثة:

"عندما يصعد النبي شيت إلى السماء ليطلب الغفران لأبيه آدم يرى ثلات رؤى، في المرأة الأولى يرى شجرةً يابسةً على حافة نهر، في الثانية ثعباناً يلتقي حول جذع شجرة، في الثالثة تنمو الشجرة⁽⁶¹⁾ وتكبر لتبلغ السماء وهي تحتضن مولوداً بين أغصانها، ثمَّ يعطي الملائكة شيت ثلات بذور من الشجرة المحرمة التي أكل منها والداه (آدم وحواء)، من تلك البذور الثلاث تنبت الأشجار التي بذرَت الملائكة والتي يصنع منها صليب العذاب"⁽⁶²⁾.

⁵⁸ أرنست بابلون، الآثار الشرقية، ترجمة مارون عيسى الخوري (طرابلس - لبنان: دار جروس برس / دار حكمت شريف، 1987)، ص 113-116.

⁵⁹ سيرنج، ص 125-126.

⁶⁰ دوران، ص 295-296.

⁶¹ Susan Lewis, *Sacred Calligraphy: The Chi Rho Page in the Book of Kells* (New York: Fordham University Press, 1980), pp. 135-150.

⁶² Karl Otto, *Werckmeister* (Berlin: Tats, 1967), pp. 300-315.

قصة آدم وحواء عند المسلمين⁽⁶³⁾

ترمز الحياة إلى الشر، وترمز ثمرة شجرة التفاح إلى خطيئة آدم وحواء؛ إذ أغوى الشيطان المختبئ في جسد الحياة حواء وأدّم بالتفاحة ليأكلاها فسقطا من الجنة إلى الأرض. فلولا سقوط آدم وحواء من الجنة لما كان هناك نسل للبشرية على الأرض. وربما كان هذا الأمر يُعدّ خيراً في الحضارات القديمة، بالنظر إلى أنهما كانا بذرة البشر على الأرض، ولكنّه كان عقاباً لهم في نظر الإسلام؛ إذ أمر الله آدم وحواء أن يسكنوا الجنة وياكلوا من شمارها ويبتعدا عن شجرة بعينها من أشجار الجنة، لأنّها محظمة على خلاف سائر أشجارها⁽⁶⁴⁾. وبحسب تفسير ما جاء في القرآن الكريم⁽⁶⁵⁾:

"هل أدلّكما على شجرة إن أكلتما منها خلدتكم فلن تموتا، وملكتما ملكاً لا ينقضي فيبيلي، فحلف لهمما بأنّه ناصح لهمما في ما ادعاه من الكذب فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفوا أمر ربّهما فانكشفت لهمما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما وأوحي إليهما: أن اهبطوا من الجنة آدم وحواء وإبليس بعض عدو، يكون إبليس لهمما عدواً، وهو لإبليس عدو، ولكم في الأرض مستقرٌ ومداعٌ إلى حين إلى منتهی آجالكم وإبليس إلى النفحـة الأولى. قال الله فيها تحـيون يعني في الأرض. وفيها تموتون عند منتهـي آجالكم ومنها تخرجـون يوم القيـمة"⁽⁶⁶⁾.

نلاحظ أنّه ثمة إجماع للحضارات القديمة والأديان السماوية على أنّ الخطيئة موجودة في الشجرة المحظمة⁽⁶⁷⁾ التي ترمز إلى احترام القوانين الدينية والشرائع، ولكن جاء وصف كلّ منها للشجرة بحسب ما تنتجه بلاده من أشجار مثمرة؛ فهي شجرة التخييل في بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية عند العرب من مسلمين ومسيحيين ويهود، وهي مباركة مثل شجرة الزيتون⁽⁶⁸⁾ الدالة على الحياة. وفي هذا السياق نذكر الآية: «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَمْ تَمْسِسْهُ نَازٌ» (النور: 35). كما اتّخذت شجرة التفاح رمزاً للفاكهة المحظمة، ورمزاً للخصوصية، ونقشت على جدران الجمـعـة⁽⁶⁹⁾ (آدم وحـواء والشجرة المحـظـمة) عند اليهود في ساحل فلسطين والأردن ولبنان وبلاد المتوسط (كاليونان)، وهي الكـرـمة في بلاد الفـرس وعـنـد الإغـريق أـيـضاً، ونلاحظ أنّ الشـعبـان مصدرـ الشـرـ الدـائـمـ للـحـضـارـاتـ الـقـدـيمـةـ وـالـأـديـانـ السـماـويـةـ، وـأنـهـ يـتـخـذـ دورـ الشـيـطـانـ دـائـماًـ، وـأنـهـ مـرـافقـ لـكـلـ الرـمـوزـ الـحـيـوانـيـةـ وـالـنبـاتـيـةـ وـالـكـوـنيـةـ.

إذن، هي معتقدات متداولة في ما بينها من حيث الخطيئة والتحرّم، والشر والخير وصراعهما، وبدء ذرية البشر كبدء بدءة الشجرة التي تنمو وتتكبر، ثم تموت متتجدةً كالفصول الأربع المشابهة لحياة الإنسان. يبدأ التزاوج بين المرأة والرجل الذي يلـقـحـ بوـيـضـتهاـ؛ أيـ الـبذـرةـ، فـتـحـمـلـ وـتـلـدـ طـفـلـاـ، ثـمـ يـكـبـرـ حتـىـ يـصـبـحـ شـابـاـ وـيـمـرـ بـمـراـحلـ الـعـمـرـ حتـىـ يـصـبـحـ كـهـلاـ وـيـمـوتـ، ثـمـ يـسـتـمـرـ أـمـرـ دـورـ الـحـيـاةـ منـ تـزـاـوجـ وـوـلـادـةـ وـمـوـتـ عـلـىـ هـذـاـ النـحـوـ، حتـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وـحـسـابـ الـبـشـرـ عـنـ اللـهـ.

63 .(طه: 120-122)

64 Jean-Pierre Caillet, *L'Art du Moyen Age: Occident, Byzance, Islam* (Paris: Gallimard, 1995), p. 434.

65 .(طه: 122-124)

66 قصة آدم عليه السلام في القرآن، إسلام ويب، 21/10/2012، شوهد في 30/10/2016، في:

<http://bit.ly/2gdippL>

67 Helmut Trnek & Nuno Vassallo e Silva et al. (eds.), *Exotica: The Portuguese Discoveries and the Renaissance Kunstkammer* (Lisbon: Calouste Gulbenkian, 2001), p. 62.

68 الدملوجي ص 726-727

69 سيرنج، ص 294-295

طقوس التطهير⁽⁷⁰⁾

1. التطهير في الحضارات القديمة

رمذية التطهير عند السومريين⁽⁷¹⁾

تقوم الطقوس بضخ ماء التطهير على كل ما يمتلك من أشياء وأولاد وحيوانات في البيت، وكل المنعطفات التي تؤدي إلى المنزل. ويরافق التطهير الصلوات والأدعية، كما يجري السومريون الطقوس على رسم للشخص المعنى (المسحور)، أو نقش يمثل صورته، ثم يُلقى ذلك في النار ليحترق ويزول السحر. ويستخدمون الزيت المقدس ويُمسح به المرضى أو المسحورون، ويقوم التطهير بفعل السحر كذلك، فهو يؤدي دور الطب.

التطهير عند البابليين⁽⁷²⁾

يقترب التطهير بالماء الذي يُعدّ أصل الكون. ويتمثل طقس التطهير بقيام الكاهن بغسل المذنب من أخطائه ومن الأمراض التي تُعدّ من الذنوب، كما كان الكهنة⁽⁷³⁾ يقومون بغسل المريض بالماء لشفائه من ذنبه.

طقسيّة التطهير عند الفراعنة⁽⁷⁴⁾

الماء هو أساس طقس الطهارة ويرمز إلى الإله "سويك"⁽⁷⁵⁾ التمساح، إذ كان يشرف على عملية التطهير، وكان الكهنة يغسلون في بحيرة مقدسة قبل الفجر مطهرين أجسادهم، ثم يطوفون دوراً حول المعبد، مهرقين الماء ومشعلين البخور في انتظار شروق الشمس. وعندها تفتح أبواب المعبد أول لحظة الشروق حيث يُحرج تمثال الإله من ثيابه، ويعسل بالياه الطاهرة الطقسيّة، ثم تعاد إليه ثيابه المهرجة حتى غروب الشمس، فيغلق المعبد وتُعاد الكرزة كل يوم كأداء طقسي لرؤيه التطهير الإلهي لنهر النيل / نهر الحياة.

التطهير عند اليونانيين

بعد اعتناق اليونانيين لألهتهم القديمة وعبادتها⁽⁷⁶⁾، عَدُوا الإسكندر المقدوني هو "المخلص" من الذنوب في المراحل الأخيرة للإمبراطورية المقدونية، وظلوا على عبادتهم لإلههم الشافي "إسكليبيوس"، ليخلّصهم من الآلام الجسدية، وكانوا يقومون باحتفالات طقسيّة مثل: قيامة الإله الميت ليبحث في أسرار الموت والتجدد، حيث يقوم المؤمن بعدة تطهيرات ليتمثل بالإله ويشترك في طبيعته الإلهية، وبحالات انحطاطية لمحبة الإله والشعور بالآلام (الفلسفة الرواقية). كما انتشر بين العبادات اليونانية مفهوم الخطيئة، ومفهوم

70 المرجع نفسه، ص 340-345.

71 ديوانت، ص 226-230.

72 حكمت بشير الأسود، "قداسة الماء ورموزه في حضارة بلاد ما بين الريندين"، أبو الصوف، شوهد في 30/10/2016، في: <http://bit.ly/2giW3V2>

73 سيرنج، ص 350.

74 "كهنة مصر القديمة المتظاهرين"، المتحف المصري، شوهد في 31/10/2016، في:

75 عبد المنعم عبد العظيم، "التمساح سويك.. إله فرعوني مقدس الجانب"، ميدل إيست أونلاين، 4/11/2008، شوهد في 31/10/2016، في: <http://www.middle-east-online.com/?id=69405>

76 إيمار وآخرون، تاريخ الحضارات العام، ج 1، ص 493-493.

الطهارة الجسدية التي يحصل عليها بالاستحمام والصوم، والطهارة الروحية التي يقوم بها عبر الصلاة، والطهارة الأدبية التي تطهر الروح والنفس بالفضائل، إضافةً إلى التطهير بالنار⁽⁷⁷⁾ الذي يعني التطهير بإعادة صهر النفس بقهرها بالصعب كعملية سبك الذهب.

التطهير عند الرومان⁽⁷⁸⁾

كان يُعهد بالتطهير إلى ابن الملك الذي يقوم بطقسية التطهير، فيظهر المذنبين بالماء. وأعطي الأباطرة الرومان الطقوس بعض الحياة العاطفية، بعد أن تزاحت الأديان الشرقية، لتغطي على عبادات الآلهة الرومانية، فانشرت أعمال التنجيم، وبلغ الهوس بالناس إلى حد تصديق طوال الغيب والمدهشات من معجزات وهمية. وقد أدى إيمانهم بالقوى الطبيعية الخارقة إلى حركة شاملة من تبادل الطقوس والعبادات ومزج بعضها البعض، فجرى توطين الإلهة "سيبيل" الفروجية الأصل في عهد الإمبراطور "كليوديوس"، وجعلها رسميةً بإضافة عبادة الثالوث؛ إذ أضيف إلى الإلهة سيبيل ابنها وعشيقها "أتييس".

وكان الكهان يحتفلون بأعيادهم لهذه الآلهة، ويتقدّم الطقوس إليها علانيةً، فيطفوفون بشوارع المدينة في فصل الربيع ثلاثة عشر يوماً، وكان يسبق هذه الطقوس الصوم والتطهير. وللتذكير بقصة "أتييس" ونذر النادين عليه، يحاولون تشويه أجسامهم كما شُوه جسمه على نحو شنيع، خلال موكب الجنائز، إضافةً إلى قهقهات صاحبة عند قيامته من الموت. ويرافق الاحتفال ذبح الثور، وذبيحة الكبش، وهما يرمزان إلى انتقال عنصر الحياة إلى الإنسان الذي ينضح بدمائهما كعربون لخلوده، ويرمز إلى دفنه في القبر بوجوده في حفرة؛ وذلك لتنقيته من الخطيئة وتتجدده ثانية. ويقدم هذا الاحتفال الديني كرمز دالٌ على خلاص الإمبراطور وأسرته. وكانت الفستاليات (العذاري)⁽⁷⁹⁾ خدامات للمعبد الأثيني، وكُنْ هنَّ الواتي يلقمن نيران المعبد المقدسة حتى لا تنطفئ، وكُنْ يرمزن إلى الطهارة والقدسية؛ لذا يحرم تدنیسهن للحفاظ على طهارة المعبد. وتتم عملية التطهير ب المياه بجريانها عبر قنوات مائية منتظمة تُمَرِّ من أفواه الأسود المنقوشة على إفريز المعابد الرومانية التي ترمز إلى الطهارة؛ إذ تتطهر المياه بحركة دورانها لتصل إلى الأسود المنحوتة الرابضة على رأس اليابس بعد أن تكون قد اكتملت دورتها وصُفيت من الشوائب العالقة بها. كما جرى فرض الوضوء والتطهيرات (كالاستحمام في الشتاء في نهر التiber) من أجل استعادة النقاوة والطهارة، وهذا الموروث إغريقي - يوناني.

التطهير عند الصينيين⁽⁸⁰⁾

كانت ولادة بوذا (القرن السادس ق.م.) مع الهالة التي تحيط برأسه دلالةً على الألوهية والقدسية. لذا، ظهر بالماء رشاً عند ولادته تبشيرًا بمعرفته التنبير، وقد مُثلّت هذه الميثولوجيا على جدارية معبد تعود إلى القرن السابع الميلادي. وكانت النار، وهي من عنصر اليانغ، رمزاً للتطهير. وكان الماء رمزاً أنثويًا، ورمزاً للشتاء. وكان يفرض على العذاري الطهارة قبل زرع الأرز حتى لا يموت الزرع⁽⁸¹⁾.

التطهير عند الفُرس⁽⁸²⁾

يعتقد الفُرس أن الإله "ميرتا" ولد بالقرب من جدول مياه. لذا، فهو يرمز إلى البعث والخلود والتجدد. والمياه هي سبب بداية أحداث الكون ونهايتها، وهي ترمز إلى الطهارة والعقوب. ويُذكر أن الإله "أهريمان"⁽⁸³⁾ غضب من الفساد الذي يعم العالم، فعاقب

77 هيرقليطس، جدل الحب وال الحرب، ترجمة عبد المنعم مجاهد (بيروت: دار التنوير للنشر، 1983)، ص 73-75.

78 سيرينج، ص 51-53.

79 إيمار وأخرون، تاريخ الحضارات العام: روما وإمبراطوريتها، ج 2، ص 203-205.

80 A Selection of Early Chinese Bronzes-Eskanazi (Eskenazi: London, 2006), pp. 20-22.

81 سيرينج، ص 359.

82 دوران، ص 207.

83 لويد، ص 43.

البشر بإلزامهم التطهير من ذنوبهم وفسادِهم، وأغرقهم بالمياه التي أصبحت طقساً دينياً يُلزمهم الاستحمام بمياه النهر عند بزوغ الشمس وغروبها.

2. التطهير في الأديان السماوية

التطهير عند اليهود

يجري التعميد في اليهودية بالغسل سبع مرات، وفي كل مرة تُؤدى صلاة خاصة. وهكذا، أصبح الماء رمزاً مقدساً للطهارة والتطهير عند اليهود، فهم يمحدونه في "عيد المظال"⁽⁸⁴⁾ ويحررون خلال سبعة أيام غسولات بالماء، مستعملين قوارير من ذهب، كما يتخذه الماسونيون رمزاً للتطهير في شعائرهم، إذ تغطّس أيدي المرشح في الماء، ويرتبط ذلك برمزيّة الإناء في الطين. لذا، على اليهودي عبور البحر الأحمر ليتطهّر أو يتعمد من عبودية الخطيئة في الخروج. وتُعدّ صورة النبع التعميدي رمزاً للشعب اليهودي لعتقه من الرق المصري.

﴿وَيُمْلأُ الْمَاءُ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزَمِ لِإِعْدَادِ الطَّقْوَسِ الدِّينِيَّةِ، قَبْلَ تَقْدِمَةِ الْذِيْجَةِ لِلتَّطْهِيرِ، وَيُغَرَّفُ مِنْهُ الْكَهْنَةُ وَيَغْتَسِلُونَ قَبْلَ تَأْدِيَةِ الطَّقْوَسِ﴾⁽⁸⁵⁾. يقول داود ليهوه: "لأنَّ عندك ينبع الحياة بنورك نرى نوراً" (مزמור 36: 9). وكانت الآبار ترمز إلى الشريعة". وكذلك كانت الغيمة مصدر الماء ورمزاً للطهارة؛ لأنَّها ظلت موسى على جبل سيناء، لذلك اُتخذت رمزاً عند اليهود لتعميدهم وطهارتهم.

التطهير عند المسيحيين⁽⁸⁷⁾

يرمز ينبع الحياة إلى الأنجليل التي تمثل ماء الحياة الأبدي وهو مبدأ التطهير والتعميد، ويظهر المولود المسيحي عند ولادته ويغطّس بالماء ثلاث مرات. وُعدّ التعميد هو التكريس الذي يسقه إعداد من الترشيح ليصبح وبصريح مسيحيّاً. وتذوم حفلة التعميد كل ليلة السبت المقدس إلى أحد الفصح.

التعييد عند المسيحيين⁽⁸⁸⁾

جاء في إنجيل يوحنا أنَّ المسيح عَلِمَ تلاميذه التطهير؛ وذلك كما يلي:

"قام عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفةً واتزر بها، ثم صب ماءً في مغسل، وابتداً يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرًا بها. فجاء إلى سمعان بطرس. فقال له ذلك: "يا سيد، أنت تغسل رجلي! أجبابه يسوع وقال له: "لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد". قال له بطرس: "لن تغسل رجلي أبداً!" أجابه يسوع: "إن كنت لا أغسلك فليس لك معنى نصيب". قال له سمعان بطرس: "يا سيد، ليس رجلي فقط بل أيضاً يدي ورأسي". قال له يسوع: "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون ولكن ليس لكم". لأنَّه عرف مسلمه، لذلك قال: "لستم كذلك طاهرين". فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتركأ أيضاً، قال لهم: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلماً سيّداً، وحسنَاً تقولون، لأنَّي أنا كذلك. فإنَّ

84. ديب، ص 31-33.

85. بابلون، ص 180-184.

86. Jerzy Szablowski, *Arrasy wawelskie* (Warszawa: Arcady, 1994), p. 137.

87. دوران، ص 204-206.

88. كان طلاب العماد يسمون يوم الأحد قدّيماً أسماء مختلفةً منها "أحد المستحقين"، لأنَّهم عرّفوا الدين المسيحي وأرادوا اعتناقَه، فكانوا يذهبون ويطلبون التنصير يوم سبت النور "سبت العازر"، طبقاً لاصطلاحات الكنيسة في أول عهدها. وكانوا يسمونه كذلك "أحد غسل الرأس"، وهي عادة متّبعة في زمانهم، إشارةً إلى التطهير، واستعداداً للتنصير، كما كانوا يسمون أحد الأفستان، أحد السعف، "أحد أوصنّا" (هوشعنا).

كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأنني أعطيتكم مثلاً، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحقُّ الحقُّ أقول لكم: إنَّه ليس عبدَ أعظم من سيدِه، ولا رسولَ أعظم من رسُلِه. إِنْ علِمْتُمْ هَذَا فَطُوبُوكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ" (يوحنا، الفصل 13: 4-16).

وكان يوحنا المعمدان يعمد الناس في نهر الأردن وقد عمَّد المسيح.

غسل الأيدي⁽⁸⁹⁾

يقوم الكاهن بعد ذلك بغسل يديه ثلاثة مرات، وهو يقول:

في المرة الأولى: "تنضح على بزو فاك فأظهر تغسلني فأبيض أكثر من الثلج" (مزמור 51: 9).

في المرة الثانية: "تسمعني سروزاً وفرحاً فتبتهج عظامي المتواضعة" (مزמור 51: 8).

في المرة الثالثة: "أغسل يدي بالنقاوة وأطوف بمذبحك يا رب لكي أسمع صوت تسبيحك" (مزמור 25: 6-7).

هذه الغسالات ليست لنظافة الأيدي، وإنما هي لتذكر الكاهن بالنقاوة الداخلية والطهارة من الخطيئة؛ وذلك لأنَّ الديين تشيران في أغلب الأحيان إلى عمل الإنسان.

التطهير عند المسلمين

الماء رمز للطهارة⁽⁹⁰⁾، وهو يؤكد الغسل الشعائري الذي يجريه المؤمنون قبل الصلوات الخمس اليومية (الوضوء). فالصلة هي كنبع الماء المقدس العذب، وهو أمر مشترك في البلدان الإسلامية. وتقييم الجواعع أمامها مناهل أو بركا خاصة بالوضوء قبل الصلاة.

كما تنتشر مناهل مياه للشرب لكل عابر سهل في كل أرجاء البلاد الإسلامية⁽⁹¹⁾، وعملية التطهير في الإسلام هي لتطهير الإنسان من النجاسة؛ لأنَّ أعضاء جسد الإنسان الطاهر تستريح الله ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء: 44).

والتطهير هو رفع النجاسة، ويتم، بحسب الإسلام، بذكر اسم الله، وبالتعطيس في المياه الجارية الطاهرة سبع مرات. وميزة الإسلام التبسيط، فالآمور باليات؛ إذ يمكن ملء وعاء وإفراغه على الجسد، بعد ذكر اسم الله على الماء. ومن المهم معرفة أن أي شيء لا يحل عليه اسم الله يسكنه الشيطان. ويوضح ذلك من خلال الآية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيَسَّرَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الحجر: 42)، والأية ﴿إِنَّهُ لَيَسَّرَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: 99)، والأية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْهِمُهُمْ أَرَاً﴾ (مريم: 83).

نلاحظ أنَّ هناك طقوساً مشتركةً تسبق التطهير بالماء⁽⁹²⁾، وطقوساً بعد عملية التطهير أو التعميد، سواء كان ذلك عند الحضارات القديمة أو عند الأديان السماوية، وكذلك الأمر من ناحية طقوس الصوم أو الصلاة أو التراتيل أو عملية الغسل وحركاتها. والغاية من ذلك كله هي الطهارة؛

⁸⁹ "طقس القدس الإلهي (علم اللاهوت الطقسي)"، تكلا، شوهد في 31/10/2016، في: <http://bit.ly/2fPLHhg>

⁹⁰ Bernard O'Kane, *The Iconography of Islamic Art: Studies in Honour of Robert Hillenbrand* (Scotland: Edinburgh University Press, 2007), pp. 28-200.

⁹¹ سيرينج، ص. 351

⁹² الدملوجي، ص. 656-658

أي نظافة الجسد مما علق به بعد يوم عمل شاق، بسبب الصيد، أو الزراعة، أو الصناعة، وغير ذلك من الأعمال؛ إذ يقابلها تنقية الروح من الأخطاء التي يرتكبها المرء في حياته. لذا، عليه أن يقوم بعملية التطهير والصوم ليشعر بالرضا، وحتى ترضى عنه آلهته أو ربّه من أجل تحقيق أمنياته.

طقسيّة الطواف

1. الطواف في الحضارات القديمة

الطواف⁽⁹³⁾ في بلاد ما بين النهرين

كان هذا الطقس عبارة عن تطواف تواكب التماثيل الإلهية المحملة على المحمولات في الأعياد. وساد الاعتقاد أنّ هذه الطقوس اليومية من صلوات وذبائح تزيد الأعمار وتطيل الحياة، وأنّ الصلاة تطهر من الإثم. وكان يُرمز إلى الطواف بالدولاب⁽⁹⁴⁾؛ يقوم الإله "شمش" ببدء دورانه، معلنًا بداية السنة، ويقوم الكهنة ببدء التطواف حوله.

الطواف عند العرب⁽⁹⁵⁾

تكون شعائر العمرة (الطواف بالبيت) بالسعى، أو الهرولة، بين الصفا والمروة. وهي عادة قديمة كانت تمارس في الجاهلية. وكان الطواف حول الأصنام والأوثان يقترب بالرقص والتصفيق والصفير والتلبية، كما اتّخذ العرب مع عبادتهم للكعبة بيوت "شمس طاغوت"، وهي بيوت خاصة بالأصنام ومعظمة كالأصنام، ولكل منها "садن" و"حجاب"، وكان المؤمنون بها يهدون إليها ويطوفون حولها كما يهدون إلى الكعبة ويطوفون حولها.

الطواف عند الفراعنة⁽⁹⁶⁾

كان الفرعون يقلّد الناج الأبيض الجنوبي والناج الأحمر الشمالي، ثمّ "البشتنت" الذي يجمع بينهما، ويجلس على العرش فوق البردي واللوتس، ثمّ يدور حول الجدار الأبيض دلالةً على توليه أمر الدفاع عن مصر، أسوةً بالشمس التي تدور حول الأرض. وبهذا يحمل الملك الفرعون ألقاباً خمسةً⁽⁹⁷⁾ بمحضه ملكي. وهذه الألقاب هي: حوروس رع، ورع والتاجان، وحوروس الذهبي الرامز إلى الشمس "رع" ملك القصبة، والنحلـة رمز مصر العليا ومصر السفلى، وابن رع⁽⁹⁸⁾.

الطواف عند اليونان⁽⁹⁹⁾

شهر عيد أثينا الكبير باسم "باناثينا"، وهو يوحّد الأثينيين سياسياً، ويذكر بتأسيس المدينة، ويرمز إلى إلهة مدينة "أثينا"، ومعناها "العذراء" التي تقام لها احتفالات سنوية، إضافةً إلى احتفال خاص بها كل أربع سنوات، وضع برنامجه سولون (نحو 640-550 ق.م.)

⁹³ Eric H. Cline & Mark W. Graham, *Ancient Empires: From Mesopotamia to the Rise of Islam* (London: Cambridge University press, 2011), pp. 125-135.

⁹⁴ Anne-Marie Christin, *L'image écrite ou la déraison graphique* (Paris: Flammarion, 2001), p. 25.

⁹⁵ الدملوجي، ص 260-261.

⁹⁶ إيمار وأخرون، *تاريخ الحضارات العام*، ج 1، ص 57.

⁹⁷ Spiser Cathie, *Les Noms Du Pharaon: Comme Etres Autonomes Au Nouvel Empire* (Switzerland: Academic press Fribourg, 2000), pp. 33-36.

⁹⁸ سيرنج، ص 350-355.

⁹⁹ "The Rite of Circumambulation," *sacred-texts*, accessed on 31/10/2016, at: <http://bit.ly/2fnvMmq>

وبيسطروس في الربع الأول من القرن السادس قبل الميلاد. ويستمر الاحتفال تسعة أيام تتخلله مباريات فنية مختلفة في الموسيقى والغناء، ومسابقات رياضية فردية وجماعية في ألعاب القوى والخفة، والسباق بالجیاد والفروسیة، والرقص بالأسلحة، والسباق بالمشاعل، ويعطى الفائزون جوائز وقوارير ملأى من زيت زيتون الآلهة، وهي القوارير الباناثینیة المعروفة.

كان يقام التطوف للآلهة "أثينا" في بيلوس في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. أما في اليوم الأخير من هذا العيد، فيقام تطوف طويل تسير في صدارته الشخصيات الرسمية ويشتراك فيه المقيمون الأجانب أنفسهم، وهو ينطلق من شمالي غرب المدينة نحو معابد القلعة، مصطحبًا معه الذبائح والقربابين. وبين القرابين قطعة فاخرة هي إله "بيلوس" المعدّة لتمثال "أثينا" تحيكها وتطرزها طوال أربع سنوات فتیات العائلات الكبرى، وفقاً لقواعد تُقرّها السلطات، وهي تدور "حول صراع أثينا ضدّ الجبارنة". ويكون هذا التطوف مع هذا التقديم إكراماً يؤدى إلى الآلهة البولیسیة الأولى للمدينة كلّها "کرفان الجميل والأمل" ويشمل تطوف عيد الآلهة أربع مئة شخص ومتّي حیوان. وبهذا العيد، كان "البولیس" (إدارة الحكم) يوحّد أثينا كلّها بعبادة آلهتها.

وكان يتمّ التطوف ثلاّث مرات، بدءاً من اليمين في المياه، مع رشّ الماء باستخدام غصن الزيتون للتّطهير، أو حول المذبح حيث يستخدم الكاهن غصن الزيتون ممسكًا به في يده اليميني في عملية رشّ الماء للتّطهير المذبح، ويرافق ذلك تزنيمة مثل الصلاة للآلهة لقبول عملية التطهير، وقد أخذ الرومان عنهم هذا الطقس.

التطوف عند الرومان⁽¹⁰⁰⁾

أخذ طقس التطوف عند الرومان عن اليونانيين، بما في ذلك آلهتهم مع تغيير بعض أسمائهم. ويرمز الإله "مارس" إلى إله الجيش وال الحرب. وكانت تقام له احتفالات "التطهير" بتطواف دائري تتبعه ذبيحة كبيرة، مع ارتباط ذلك بالصلوات والأدعية، لمنع الأمراض المنظورة وغير المنظورة وتطردّها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجدب والتخرّب والكوارث وأفات الفلك، فضلاً عن الطلبات التي لا تنتهي، والتي تومن سعادة المؤمنين.

التطوف عند الصينيين⁽¹⁰¹⁾

تتوسط أملاك الإمبراطور، أو العاهل، في المدى الأضلاع الأربع لحدود الكون والأرض، ويحفظ الملك وحده بوسط المدى وقوته بموجب طقوس محددة، ثم يأتي رؤساء المقاطعات والأجزاء التي على جوانب المدى كل سنة إلى العاصمة في وسط المدى، ليقدموا للإمبراطور تقارير عن أمور ولاياتهم، حيث يطوف عليهم بخطبة نظام الشمس (شرقاً، وجنوباً، وغرباً، وشمالاً)، ويتوقف في كل جزء بحسب أحد فصول السنة المختص بكل ضلع.

التطوف عند الهند⁽¹⁰²⁾

في العقيدة الفيدية يبدأ التطوف حول المعبد بإشارة من اليد اليمنى التي ترمي إلى تحكم المؤمنين بهذه طوافهم، وذلك بموازاة يدهم اليمنى في المعبد، أي في اتجاه الساعة، حيث تبدأ الشمس دورانها حول الأرض، وكذلك الأمر في الطقوس البوذية؛ إذ يجري التطوف

100 Ibid.

101 David N. Keightley, *Sources of Shang History: The Oracle-Bone Inscription of Bronze Age China* (Berkeley: University of California Press, 1978), pp. 83-85.

102 عكاشه، ص 95-97.

حول معبدَي "الستوية" و"داغويا". ومن جهة أخرى، يعتقد الهنود أنَّ اليد اليمنى في اتجاه عقارب الساعة هي علامة للسعادة، وهي لولبية بوق الإله فيشنو؛ لذا يطوفون حول النار المقدسة مُمسكين شعلة النار باليد اليسرى.

2. الطواف في الأديان السماوية

الطواف في المسيحية

يُرمز إلى المسيحية⁽¹⁰³⁾، في إجمال، بالشجرة؛ من جهة انتشارها ونموها كأوراق الشجر. فهي غرسة تنبت، وتبرعم، وتزهر، وتعود لتمر بدورية فصلية سنوية مدى الحياة، هي شجرة أشعيا أو "عقدة أشعيا"، وهي رمزية عمودية ترقى من الأرض نحو السماء. وترمز الشجرة إلى الخشب الذي صُنع منه الصليب، ليتحول إلى رمزية خشبية كونية. وتحمل الأغصان رمزاً في أحد الشعانيين⁽¹⁰⁴⁾، ويطوفون بها في عيد العنصرة "غرغانтиا". وتمثل الأيقونات "غرغانتيا"، وتمثل كذلك "سان كريستوف".

يجري الطواف بالبيعة بطريقة رمزية تذكاراً لدخول السيد المسيح الاحتفالي إلى أورشليم، بالنظر إلى أنَّ المسيح غادر "بيت عنينا" في فلسطين قبل الفصح بستة أيام وسار إلى الهيكل، فكان الجمع الغفير من الشعب يفرشون ثيابهم أمامه، وأخرون يقطعون أغصان الشجر ويطرحونها في طريقه؛ احتفاءً به، وهم يصرخون: هوشينا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب هوشينا في الأعلى (متى، الفصل 9:21).

طقوس الاحتفال بـ "عيد السيدة العذراء"⁽¹⁰⁵⁾

يُعد عيد انتقال السيدة العذراء واحداً من أهم الأعياد التي تحتفل بها الكنيسة الأرثوذكسية. ويعود هذا الاحتفال إلى فترة المسيحية الأولى تذكاراً لصعود السيدة العذراء إلى السماء بعد رقادها. ويسبق الاحتفال بالعيد صوم عن تناول اللحوم والبيض والسمن طوال خمسة أيام، مع الاقتصار على الخضروات والزيوت. يبدأ الاحتفال من يوم العاشر من آب / أغسطس حتى الخامس عشر منه، ومن ثم يقام قداس احتفالي ليلاً يوم الرابع عشر. ويفيد الاحتفال بطواف الرهبان والقساوسة مع جموع المؤمنين حاملين تمثال السيدة العذراء على أكتافهم في شوارع المدينة، وصولاً إلى كنيسة السيدة العذراء، وإقامة قداس في صباح اليوم التالي. وفي نهاية الاحتفال تقام موائد يقدم عليها المؤمنون ما ذبحوه من الأضحى، ثم يتم طبخها، لتُقدم في مائدة جماعية لكل من يزور الكنيسة. أما اليوم، فقد اقتصرت على بعض الحلويات والمأكولات نوع من التقديمات.

الطواف في الإسلام (الشعائر الدينية)

يُعد الطواف من أهم الفروض الإسلامية. ومن مناسك الحج والعمرة الوقوف بمذلفة، والطواف حول الكعبة والتلية، والsusy بين الصفا والمروءة، وذبح الأضحية، وتصحير الشعر. وقد كان الحج أقدم شعائر العرب الدينية؛ إذ بدأ مع أول بناء للكعبة فكانوا يحجون إلى "بيت الله الحرام" الذي سُمي "الكعبة الشريفة" في الفترة الإسلامية، وأصبحت الكعبة مقراً دائماً لهم للعبادة والصلوة، والزيارة والتجارة، وهدفاً للتعبد والتنسك. وأصبحت، بعد هدم أصنامها، مقصداً للإسلام، لتحول في كل سنة إلى مَحْجٌ إسلاميٌّ في أشهر

¹⁰³ Anderson, pp. 280-300.

¹⁰⁴ كلمة عبرانية من "هوشينا" أوصنا. معناها "يا رب خلص"، ومنها أخذت كلمة "أوصنا" اليونانية التي ترثها الكنيسة في هذا العيد الذي يأتي قبل الفصح بأسبوع، وهو الأحد الأخير من الصوم واليوم الأول من أسبوع الآلام، وفيه يبارك الكاهن أغصان الشجر من الزيتون وسفف النخيل (متى، الفصل 21:9).

¹⁰⁵ إدمون إسحق، "طائفة السريان الأرثوذكس.. تختلف عيد انتقال السيدة العذراء"، إسيريا، 16/8/2010 شوهد في 27/7/2016. في: <http://bit.ly/2g1srub>

مُحددة، هي: شوال، ذو القعدة، والأيام العشرة الأولى من ذي الحجة، لأداء فريضة الحج، وزيارة الكعبة، وما يتبع ذلك من شعائر دينية إسلامية بعد أن هدمت الأصنام. وأصبح الطواف يتم حول الكعبة سبع مرات⁽¹⁰⁶⁾.

طقسية القرابين والندور للميت والبعث

طقسية البعث بعد الموت في بلاد ما بين النهرين

وُجد في قبور "أور"⁽¹⁰⁷⁾ التي يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد أدوات إلى جانب الميت، تُستعمل عادةً في الحياة الدنيا (الآلات الثمينة التي يستعملها العظام)، من عجلات وأسلحة وخراف وخوذ، وجميعها كانت من الفضة والذهب. كما وُجدت زنابير من الفضة وأواني طعام من الذهب، ومعدات تزيين وتبرّج وحلي، وألات موسيقية، إضافةً إلى جثث الجواري والحيوانات والخدم الذين يشكّلون حاشية الملك "الرجل العظيم" أثناء حياته مع أدواتهم. فهم يدفنون معه أحياءً ليخدموه في الحياة الثانية.

لا يصبح الميت إلّا كما هو الشأن في حضارة مصر، وكانت هذه البدعة نادرةً في حضارة بلاد الرافدين، وإنما يجب أن يكون للملك ابن يقوم بتقديم القرابين إليه، ويسمى "غريق الماء" ومنظم وجبات الطعام للميت، ثم تهبط الروح نحو الأرض الكبيرة السفل تحت الأعماق ولا تعود منها أبداً، كنزول "عشترار" إلى الأرض السفل وكيفية نزع ثوابها لتجنب الأبواب السبعة للأسوار السبعة المتتابعة، وتقدّم القرابين للألهة⁽¹⁰⁸⁾ من الذبائح الحيوانية؛ كالخرفان التي أصبحت بدليلاً من القرابين البشرية على طاولة مقدسة أمام الصنم الإلهي، وسط "الأزاهير" وأدخنة البخور والروائح العطرية، ويكون لذلك أوقات خاصة. وهذا الأمر مشابه لطقوس التقديم عند اليهود.

قربان انتقال الروح إلى السماء عند الفرس⁽¹⁰⁹⁾

ترمز الولائم بالأسرار الميثية إلى ذكرى شعائرية لوليمة "ميثرا" مع الشمس قبل صعودها العمودي إلى السماء. والوليمة هي أربعة أرغفة من الخبز (أو طلائم الخبز)، وهي مدورة وعليها نقش للصلب المرتبط بعبادته بالشمس، ويتناولها أتباع الديانة الميثية لتعطيهم القوة للجسم، والحكمة للنفس، والخلود للروح، كما وشموا المؤمنين بالصلب (على الجبين) كرمز لخلودهم بعد الموت، بخاصة المتنبّعين بالديانة الميثية.

نلاحظ تشابهًا في رمزية الولائم والقربان عند الميثية مع القربان والعشاء السري عند الطائفة المسيحية، وهو ما يدلنا على أنَّ فاعلية الطقوس استمرت بمظاهرها وشكليتها ورمزيتها ورفاقتها الأديان السماوية مع بعض الاختلاف في المعنى والهدف، إضافةً إلى أنها ما زالت قائمةً حتى يومنا هذا.

106 الدملوجي، ص 260.

107 المرجع نفسه، ص 202-206.

108 سلامه سركيس، الأرخيولوجيا: منهجيات - مراحل - إشكاليات (بيروت: دائرة منشورات الجامعة اللبنانية، 2003)، ص 135.

109 سيرنج، ص 399.

القرايبين والنذور عند اليونانيين⁽¹¹⁰⁾

كانت تمارس الولائم الجنائزية عند اليونانيين الإغريق ما بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد، على المدافن، فيفترطون في شرب النبيذ. وبعد ذلك يبدؤون رحلة البحث عن الخلود باستحضار أرواح الموتى؛ لمعرفة كيفية حسابهم في الحياة الآخرة تحت الأرض، وكانوا يقيمون لها أعياداً عُرفت بأعياد دونيسيوس في معبد الآلهة "أوروفيوس" وُعرفت باحتفالية "عالم الأسرار" أو "يوم الأسرار" للاطمئنان إلى الحياة الثانية بعد الموت.

القرايبين والنذور عند الرومان⁽¹¹¹⁾

استمر الكهنوت الفردي "ملك الذبائح" يحافظ على الصالحيات الدينية، ويشرف على الذبائح والولائم المقدسة والأعياد كلّدور تمثيلي. ويوجد نحو خمسة عشر كاهناً خاصًا، أي إنه لكل إله كاهن تقريبًا، يخدم ثلاثة منهم إلهًا عظيمًا (جوبيتير، ومارس، وكوبيرينوس)، وأحاط دialis كاهن جوبيتر، بأمجاد عظيمة وأخضع هو وزوجته الكاهنة لراسم عبادية ملزمة جدًا كأول تقيد قديمًا؛ منها أن عليه أن يلبس الجلباب، ويشذب الكربمة، ويستهلك شراباً أو طحيناً مختتمًا، ويرتدى ملابس كتانية، ولا يرتدي أي نوع من القماش يقتضي عقدةً أو حلقةً، ولا يلمس حسانًا أو يمتطيه، ولا يرى سلاحًا أو ميتًا، وهي من أهم المحظمات؛ ليكون كاهنًا، ولتحقّ له تقديم الذبيحة الإلهية. وكان صاحب البيت يقدم ذبيحةً من النبيذ يرميها في المدفأة، وكانت أمعاء الشاة أو الخروف أو الثور تُقدم وتُحرق ذبيحةً للمعبد في الأعياد والمناسبات.

طقوس الميت والنذور عند الفينيقيين⁽¹¹²⁾

كانت تُقدم الذبائح البشرية من أحد أطفالهم المرضى والمشوهين خلقياً كذبيحةٍ إلى الإله "بعل همون"، ليمتن عليهم بالذرية السليمة الخالية من التشوهات؛ إذ يجعلون الطفل الميؤوس من شفائه قربانًا بين يدي تمثال الإله "ملقارت" البرونزي المنبسط بانحناء نحو الأرض؛ وذلك لأنّ الطفل المولود بعاهة ينحدر من بين يديه ليهوي في أتونِ من نار متقدة يرتفع لهيبها عالياً.

طقوس الأموات والنذور عند الفراعنة⁽¹¹³⁾

كان البعران⁽¹¹⁴⁾ (الخفساء السوداء) من أهم الرموز المرافقة للميت كتعويذة؛ لأنه يرمز إلى البعث والحياة بعد الموت، وقد نقش على العقيق والفيروز وبعض الأحجار الكريمة. وكان المصريون يعتقدون أنه توجد حياة ثانية بعد الموت⁽¹¹⁵⁾؛ إذ تفارق "البا" (الروح) "الكا" (الجسد). لذا، كان الميت يُحيط بطريقة معينة لحفظ جسده من التلف، وكانت أحشاؤه تتوضع في أوعية حورس الخاصة، وكانت تُقدم له أوعية الطعام كل يوم، ثم توضع إلى جانبه جميع أغراضه الخاصة إلى حين عودته كي يستعملها.

110 إيمار وأخرون، تاريخ الحضارات العام، ج 1، ص 297.

111 "الدين في روما القديمة"، المعرفة، شوهد في 11/1/2016، في:

<http://bit.ly/2gac9lx>

112 الدملوجي، ص 62.

113 Christine, p. 62.

114 طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 2، ط 2 (بغداد: دار الوراق للنشر، 2006)، ص 160.

115 إيمار وأخرون، تاريخ الحضارات العام، ج 1، ص 24-28.

طقوس الأموات عند الصينيين⁽¹¹⁶⁾

يعتقد الصينيون أنّ لكل إنسان عدة أنفس في الوقت ذاته، وأنّ إحداها تنفصل عن الجسد فورًا عند الموت، وهي (الهون)، وأنّ طريقها مملوءة من الأخطار قبل أن تصل إلى السماء حتى تأخذ مكانًا يليق بها كما هو الشأن في الحياة. أما النفس العليا، فتُسمى "الـ"بوـ" ، وهي تظلّ مع الجثة، وتُقدم إليها الفروض والقرابين وتحول إلى شيطان (كوي)، ليعود ويزرع الرعب في حياة أسرة الميت، وإن ضلت الـ"بوـ" تحيي في العالم الجوفي. في حين تحيا كل من الأنفس الـ"هوـ" والـ"بوـ" في عالمها الخاص حياة الإنسان نفسه وهو حي. وبعد ثلث سنوات من انتهاء فترة الحزن، تُقدم إلى الميت لوحة من خشب الكستناء ليصبح حامي الأسرة؛ وذلك بعد تقديم الأسرة الفروض الدائمة إليه.

وكانت طقوس الميت⁽¹¹⁷⁾ تُجرى بأن يضع الصينيون حجرًا كريماً من اليشب الأخضر (الجاد) على كل نوافذ حجرة الميت الذي يكون من طبقة النبلاء، ويُلبسونه ثوباً حبيرياً يُسمى "منغ بي"، يُكتب عليه اسمه. وكان المحزونون يرتدون لباساً أبيض. أما أولاد الميت، فيحملون عصاً، رمزاً لحزنهم وحدادهم، ويُدفنون مع الميت أشخاصاً ليخدموه إلى جانب أسلحته وخدمته. وأما الأموات من طبقة الفلاحين أو الفقراء، فتُدفن معهم دمّي من القش أو الخشب. وبعد الدفن تقوم مأدبة طقسية، وتُقدم القرابين. وكان الجعران من حجر الجاد الأخضر يوضع في قبور الميت ليرمي إلى البعث وانتقال الروح إلى جسد طفل آخر بعد اجتيازها مراحل الموت الكبرى.

الطقوس والقرابين عند اليابانيين⁽¹¹⁸⁾

تُسمى آلهتهم "كامي"، وقد شيدت لها معابد مسقوفة، وقدّمت إليها القرابين الرمزية كالأحصنة والأبقار البيضاء، ونسيج الكتان، والقنب، لتجعل حياتهم الأخرى سعيدة.

طقوس الموت والنذور في الهند⁽¹¹⁹⁾

أهمها تقديم "الذبيحة الإلهية" التي تثبت صلة الوصول بين الإنسان والإله، وبين الأمور المقدسة والعادلة. ويقوم بها الكهنة الذين يصطحبون معهم عدة أنواع من الشيران البيضاء المقدسة، وتُقدم هذه الطقوس بمناسبة ظهور الهلال وبدء السنة الجديدة، وموسم الحصاد (جني الباكيز الزراعية)، إضافةً إلى طقس تقديم "التيس" افتداءً لحياة رجلٍ. وأهمّ هذه الطقوس متمثل بطقوس "السوما". وتدور الطقوس عدة أيام، وأشهرها "الفاجبيا"، كسباق العربات التي ترمز إلى "الشمس"، و"الراج سبوتا" وهو التتويج الملكي؛ إذ يتولى الكهنة وممثلو الشعب إجلال الملك على العرش. أما "الإسغميدها" (ذبيحة الحصان)، فهي تثبت قوة الملك، وتعطيه العظمة والسيادة المطلقة. وأما طقس بناء هيكل النار، فكان يجري بتقديمات بشرية، لكنّها في ما بعد أصبحت رمزيةً، وصارت بمنزلة تقديمات من الهدايا الشمينة.

وأمّا طقس الجنائز عند انتهاء الحياة، فيكون بتزيين الميت وإقامة موكب له لإحراق جسسه. ويُحمل على الأكف، أو على عربة يُشدّ إليها غصن شجرة ليمحو آثار أقدام الأقرباء الذين يحملونه، ثم يوضع الميت فوق لوحة من الحطب، وتجلس زوجته بقربه ليتم إحراقها

116 دوران، ص 290.

117 المرجع نفسه، ص 295-294.

118 Michiko Ishigami-Iagolniser, *Les Hyakumanto dharani et les débuts de la Xylographie au Japon, VIII-XIII Siècles* (Bordeaux: Société des bibliophiles de Guyenne, 1996), p. 129.

119 إيمار وآخرون: تاريخ الحضارات العام، ج 1 ص، 564.

معه وهي على قيد الحياة. لكنَّ هذه العادة أُبطلت، وأصبح لا يُرفق مع الميت أثناء الحرق إلَّا ما تيسَّر من مقتنياته الخاصة؛ مثل قوس مكسور بالنسبة إلى أحد أفراد "الكستريا"، وأدوات عبادة إنْ كان من "البرهما"، ويحرقون معه "تيساً"، أو يضخون بيقرة. وتتدوم فترة الحداد خلال الصوم والطهارة والزهد، فيطمرون رفاته المحروق بالأترة، ويقام بناء حجري عليه للذكرى، ويكون اللون الأسود لونَ الحداد والحزن، وتتبع ذلك طقوس احتفالية.

وللهندو عقيدة تُعرف بـ"السمسرا" (التعصُّم) بعد إصلاح بودا للأوبانيشاد⁽¹²⁰⁾. فكلُّ كائنٍ يشعر بالموت والألم. لذا، فإنَّ الوجود يحمل الألم في طياته؛ لأنَّ الرغبة الدائمة في ملذات الحياة تُولد الألم لتوهم المرأة أنَّ الرغبة الظاهرة هي حقيقة الحياة؛ وذلك لأنَّه يجهل قيمة الحياة والموت. ومن ثمِّ وجب الموت للعودة إلى الحياة الثانية؛ أي ابتعاث روحه بولادته طفلًا جديًّا لينمو جينيًّا مرةً ثانيةً، حتى يكبر ويعرف معنى وجوده، ويستمر على هذا المنوال على مدى دورة هذا النظام الكوني للحياة والموت، حتى يتلاشى جهله بعد أكثر من حياة (كأنَّ تكون سبع مرات مثلاً)؛ كي يصل إلى "الترفانا" ويوازن في معرفته بين لذة الحياة والموت.

القرايبين والنذور عند اليهود

تُجرى هذه القرابين والنذور في هيكل سليمان⁽¹²¹⁾ (هيكل التقديمات)؛ إذ تشعل النار التي تشبه قرون البقر على سطح زوايا هيكل، ويرُشَّ عليها دُمُّ ذبائح الضحايا من الحيوانات المذبوحة، ثم تُسكب فوقها الخمرة الممزوجة بملاء، لتجري عبر قناة في الزاوية الجنوبية الغربية، ومن ثُمَّ تصل إلى قناة تحت الأرض، فتنصب في وادي قدرون (منطقة في فلسطين)، وتُعد شماني طاولات (لكل طاولة ذبيحة). وتحفظ المُدَى التي جرى بها طقسُ ذبح الحيوانات في غرفة مخصصة، وتتصبح هذه المُدَى مقدَّسةً في الهيكل. وتكون هذه التقديمات فداءً وتضحيات وذرارًا ليرضي الله عن المؤمن به، ولطلب غفرانه أخطاءهم.

النذور والقرايبين عند المسيحيين

الثور والبقرة⁽¹²²⁾

جاء الثور رمزاً للتضحية "التوروبول"؛ أي انتصار العقل على القوى الوحشية، وهذا الأمر مأخوذ من رمزية فارسية. وقد نحت أنطونيو دي روسبلينو، وهو يضحي بالثور على ضريح الكاردinal البرتغالي، في كنيسة "سان فيفيانتو" في فلورنسا، في القرن الخامس عشر ميلادياً؛ للدلالة على انتصار الخير على الشر. واستمرت رمزية التضحية بالثور في عهد الأنطونيين، وكانت تقام "التوروبول" كأضحية تكفييرية؛ إذ يتضمخ جسد كلِّ من الكاهن والراهب بدم الثور المذبوح ليتخلص من قوى الشر في داخله، ولكسق قوَّته.

"سر القربان المقدس"⁽¹²³⁾

يحتوي سرداد قبر القديس كاليكبيت في روما، رسمًا جداريًّا من أواخر القرن الثاني لسمكة تحمل سلة ملأى من الخبر. ويرمز الخبر والسمك إلى القربان المقدس؛ ذلك أنَّ تضاعفهم يُعدُّ معجزة إلهية. كما نجد نقشاً على البرونز من القرن السادس يشتمل على خبز وسمكتين، في وسطه القربان الذي يرمز إلى المسيح.

120 خليل عبد الرحمن، ص 33-34.

121 Lemaire, p. 35.

122 سيرينج، ص 52-53.

123 المرجع نفسه، ص 53-54.

الأضحية والنذور عند العرب والإسلام⁽¹²⁴⁾

عُرفت التقديمات والنذور منذ أقدم الحضارات، وقد أخذها العرب، وكانوا يستخدمونها بحسب دم الضحية الحار فور ذبحها فوق رؤوس الأنصاب إرضاءً لها، وتجبّأ لغضبيها، وتودّأ إليها، وطمئنًا في شفاعتها. ومن جهة أخرى، يَعْدُون ذلك بمنزلة طعام لها، لامتزاج لحومها ودمائهما بطريقة الحلول والتناصح؛ أي الاتحاد بلحوم الناس ودمائهم. وأما ذبح الصحايا وتقديم النذور، فكأنّا يتمّان بعد الرجم. وقد حرم الدين الإسلامي التضحية بالآدميين. وفي عيد الأضحى، تتم التضحية بالإبل والبقر والصّأن والماعز؛ وذلك بعد أن أراد النبي إبراهيم التضحية بابنه من أجل الله، فأرسل الله له كبشًا ليكون لابنه فداءً. واستمر هذا الطقس قربانً تضحيةً في يوم عيد الأضحى من كل عام⁽¹²⁵⁾.

خاتمة

أظهر استعراض بعض أساطير الحضارات القديمة وطقوسها (حضارة بلاد الرافدين، والحضارة الفارسية، والحضارة العربية، والحضارة الفينيقية، والحضارة الفرعونية، والحضارة اليونانية، والحضارة الرومانية، والحضارة الصينية، والحضارة الهندية) تشاركًا ملموساً وجليًا بينها وبين معتقدات الأديان السماوية، إذ أعطتنا توثيقًا مهمًا لتاريخ بدايات ميثولوجياتها، ودلالات استمراريتها حتى يومنا هذا. فقد عمد مؤرخون وملوكٍ من تلك الحضارات إلى تسجيلها على نحوٍ يوضحها، ففسّرها على جدران معابدهم، وعلى الألواح الصلصالية (الرُّقُم)، والحجرية (الكنب)؛ مثل شرائع حمورابي، وعلى موادٍ معدنية (قلائد، وتيجان، وتمائم، وأختام خاصة للملوك)، وعَدُوها ركيزةً أساسيةً لعتقداتهم التي انصرفت في الواقع حياة تلك الشعوب الاجتماعية وتوارثوها، حتى بعد انتقامهم للأديان السماوية التي لم تستطع إلغاءها؛ بسبب تجذرها في حياتهم اليومية، فباتت تقليدًا دينيًّا أساسيًّا يحتذى به حتى يومنا هذا، على الرغم من امتدادها إلى آلاف السنين.

واستنفتحت الدراسة تأثير الأديان الثلاثة بالحضارات القديمة. فالديانة اليهودية تعد أولى الأديان السماوية التي تأثرت بحضارات بلاد ما بين النهرين من شرائع حمورابي ومبدأ التطهير، وقصة آدم وحواء والطوفان، بسبب سبيّها إلى تلك المنطقة وتعايشهما مع شعوبها وشرائعها مدةً زمنيةً طويلةً، ثم وجد بنو إسرائيل في منطقة سيناء حيث سيطرت حضارة الفراعنة المصرية وأسرت كثيًّرًا منهم عبيداً، فتأثروا بميثولوجياتها، وخصوصًا شرائع أخناتون وأناشيده التي تماهت مع المزامير، فضلاً عن اقتباسهم لبعض مبادئ الفلسفة اليونانية في الخلق، لوجودهم في نقطة المركز على ساحل المتوسط التي احتلّها اليونانيون القدماء.

كما تأثر الدين المسيحي بميثولوجيات الحضارة اليونانية والرومانية في كل حقبات الحضارات؛ كالطواف، والتطهير بتحوله إلى التعميد، والنذور والقرابين "العشاء وطقسيته الخبز والسمك"، واقتباس بعض طقوسها وتغييرها على نحوٍ ملائم للديانة المسيحية؛ كمواصلتهم احتفالاتهم بالأعياد بتغيير دلالاتها الدينية، وذلك لاتباق الديانة المسيحية من مهد الفلسفات اليونانية. فقد سيطرت إمبراطوريتها على بلاد الشرق والغرب، وتوارثتها الإمبراطورية الرومانية بميثولوجياتها، ثم انتقلت مع شعوبها التي آمنت بالدين المسيحي.

كذلك تأثر الدين الإسلامي بطقوس العرب في الجاهلية؛ كمناسك الحج، والصوم في رجب ورمضان، واتباع التقويم في حضارات بلاد ما بين النهرين، وتأثير بطقوسها أيضًا؛ مثل التضحيات والنذور، ومبدأ الثواب والعقاب في الطوفان، وعملية التطهير في شرائع حمورابي، وذلك بسبب نشوء الدين الإسلامي في منطقة الجزيرة العربية المجاورة لبلاد ما بين النهرين.

124 Cline & Graham, p. 75.

125 (الصفات: 99-110).

ثم إننا نلاحظ وجود مبدأ مشترك في بعض أساطير الحضارات القديمة مع معتقدات الأديان السماوية الثلاثة، ورأينا أن نختار منها ست ميولوجيات متضمنةً ما يلي من الأساطير والطقوس:

أسطورة الطوفان

من خلال الحضارات القديمة والأديان السماوية في ما يتعلق بمبدأ الثواب والعقاب، يتضح أنّ الأساطير والمعتقدات الدينية تشتراك في أنّ الآلهة السماوية وحدها هي التي تملك أحقيّة فرض العقاب والثواب. فهي من عاقبت الإنسان على شروره وخطيئاته في حق أخيه الإنسان بإغراق مزروعاته وممتلكاته، حتى بات لا يملك شيئاً لاستمرار بقائه. كما أنها تبيّن الكيفية التي تم بها اختيار الصالحين من البشر لإنقاذ ذريتهم والكائنات الحية، وإنقاذ الطبيعة من دمار الطوفان. فقد تم اتخاذ وسيلة الإنقاذ نفسها المتمثلة بالفُلُك أو السفينة. وللحظ من خلالها عملية صراع بين الخير والشر، وعواقبهما المنبثقة من صراعبقاء بين الكائنات الحية، وبين الإنسان وأخيه على الأرض.

وتُظهر الأساطير مبدأً لترهيب الإنسان وترغيبه من أجل الالتزام بالمبادئ والوصايا التي شرعتها الآلهة السماوية في الحضارات القديمة، ورسائل الكتب السماوية التي أُنزلت على الأنبياء والرسل لتقويم الإنسان، ورده عن ضلالته إلى الصراط المستقيم، إذ يتخذ الكهنة دوراً مشتركاً في الحضارات القديمة هم ورجال الدين في الأديان السماوية؛ مثل فروض التوعية والتبيشير وهداية الناس؛ من أجل إصلاحهم نحو قيمة الخير المعطاء.

أسطورة الخلق

تُظهر هذه الدراسة، من خلال سردها، معتقدات الحضارات القديمة (الرافدية، والفارسية، والفرعونية المصرية، والصينية، والهنودية)، ومعتقدات الأديان السماوية أيضاً، أهمية العناصر الأربع، بالنظر إلى أنّ الماء هو العنصر الأول في أساس الخلق للكون واستمرارية الحياة على الأرض. وتُوضح من الدراسة بحوث متعددة في مسألة الخلق، استناداً إلى دراسة فلكية في عملية تحليل المقدمين لتخصيب الأرض، وكيفية إحالتها على علاقة الكواكب والنجوم بالأرض وتأثيراتها فيها. فمن أجل ذلك عبدوها كآلة. كما تُظهر الدراسة أنّ الأديان أنهت ذلك البحث الطويل بكيفية خلق الله الواحد الأحد للكون.

قصة آدم وحواء

في هذه الدراسة شرُح لقصة آدم وحواء من خلال الحضارات القديمة وتلاقيها في فرضياتها مع الأديان السماوية، مع إظهار الانتقال إلى الحالة الفلسفية، ليجري النظر في كيفية تزاوج الإنسان، إضافةً إلى التحليلات الافتراضية للمتقدمين التي رأت أنّ الإنسان وليد السماوات، وليس وليد الأرض كبقية الكائنات الحية، بالقول إنه أرفع منزلةً منها، على الرغم من غرائزه؛ وذلك استناداً إلى امتلاكه العقل والمنطق، كما حدد ذلك بعض فلاسفة اليونان. لذا، جاءت قصة آدم وحواء بسميات أخرى عند الحضارات القديمة، وجاء مبدأ الخطيئة بمخالفة "آدم وحواء" عند الأديان السماوية الثلاثة للقوانين والشائع السماوية؛ وذلك من خلال الأكل من شجرة الحياة الخاصة بالآلهة والمحرمة على الإنسان. وهكذا، تأتي معاقبة الآلهة له بإسقاطه إلى الأرض. وتُظهر الدراسة استمرارية هذه الأسطورة مع الأديان، ولكن ذلك يكون من منظور ديني مختلف، وعلى نحوٍ أبلغ، بحسب ما جاء في الرسائل السماوية.

طقسية التطهير

يمثل التطهير، من حيث آليته، مبدأً مشتركاً عند الحضارات القديمة المذكورة سابقاً. ومع الأديان السماوية، كانت المياه من أهم عمليات التطهير من الأوساخ المادية للجسد؛ كمرحلة أولى للوصول إلى مرحلة تطهير الروح من أدرانها عبر الصلاة وعبادة الله جل جلاله. ونلاحظ استخدام المياه كمبدأ للثواب عبر التطهير والتعميد، واستخدامها للعقاب عبر الطوفان عند الحضارات القديمة والأديان. كما نلاحظ آليات مشتركة كثيرة للتطهير بين الحضارات القديمة والأديان؛ كالنار التي استُخدمت مبدأ للعقاب (نار جهنم)، وقد جرى ذكر ذلك في الدراسة باستعراض ميثولوجيات الأساطير عند الحضارات القديمة والأديان.

التطواف

نظرت الدراسة في كيفية تناول الحضارات القديمة لطقسية التطواف، أو الطواف، واستمراريتها مع الأديان، وأظهرت عملية التطواف كتقليد طقسي ديني قديم (كان ذلك عند الإغريق بالتمثال المقدس للآلهة أثينا)، وكيفية انتقاله إلى المسيحية في تطواف تمثال السيدة العذراء، وكذلك تطواف العرب في الجاهلية حول الحجر الأسود، وانتقال آلية هذه الطقوس مع الإسلام عبر شرائع مفروضة (الحج إلى بيت الله الحرام) بالتطواف حول الكعبة الشريفة، وقد أمر النبي محمد بتحطيم الأصنام التي بداخلها، وتحويلها إلى مركز ديني للحج، في إثر تطهيرها من الأفكار الوثنية.

طقسية القرابين والندور

نلاحظ أنَّ الطقسية المذكورة قد استمرت. فبعد أن كانت بعض الحضارات القديمة تُقدم أطفالها كتضحيه وندور بشرية للألهة عند الفينيقيين، استبدلت ذلك بالدواجن والخرفان، بفرضها من قبل ملوك وأباطرة المنطقة. وفي هذا السياق تأتي قصة النبي إبراهيم عند اليهود والإيحاء الرباني له بالتضحية بكبش لمنع التضحيات البشرية التي كانت سائدةً عندبني إسرائيل قبل إيمانهم بالله. واستمرت هذه التقديمات والأضاحي والندور سائدةً في الأديان إلى يومنا هذا، إذ إنَّ كثيراً من الناس يُقدم لأنبياء والقديسين والأولياء الصالحين؛ ليُلْبِّوا أمانياتهم، ولكي يرضوا عنهم ويشفعوا لهم عند رب العالمين بالتوبة والخلاص، ونحوهما.

كما جاء في معتقدات الحضارات القديمة مبدأ الخلود أو البعث بعد الموت؛ لعدم اقتناعهم بانتهاء حياتهم القصيرة من دون أن يكملوها برؤية كل نعيم الكون الأزلي، أو لفقدانهم أحبتهم من آباء وأبناء وأمهات وزوجات. لذا، جرى افتراض الحياة الثانية في معظم الحضارات القديمة، وكانت تُجمع الولام والهدايا والتقديمات وتُترافق مع الميت تحسباً لعودته إلى الحياة. وفي بعض الحضارات نجد اعتقاداً قائماً على تقمص الروح (كالصينيين والهندوس بشأن السمساراً)؛ لعرفة حقيقة مبدأ العقاب والثواب، وهو ما يجعلنا ندرس كيفية تلاقي هذه الحضارات - عبر علومها الفلسفية الفكرية - مع الأديان السماوية التي صفت هذه العلوم وتخصص فيها مفكرون وعلماء دين وفلاسفة، وغيرهم، لإثبات فناء الجسد وخلود الروح الصالحة بانتقالها إلى السماء. أما الروح الخاطئة، فتذهب إلى جهنم حيث يكون عقابها بالنار. ولإلقاء الأديان السماوية مسألة هم التفكير في هذه المعضلات عن كاهل البشر، تُلقي همومهم ومسيرة عناية حياتهم على الرسل والأنبياء وحاليهم الواحد الله جل جلاله الذي خلقهم وتكفل بوجودهم ومماتهم وإحياءهم وبعثهم من جديد إن أراد ذلك.

في خصوء هذه الدراسة، يمكن أنْ نُنْهَر النقطتين الآتيتين:

أولاً، لقد أعطتنا الأساطير والطقوس القديمة توثيقاً تاريخياً لوجود مدن وحضارات قديمة عديدة زالت عبر الزمن بسبب الحروب وتقلبات الطبيعة، ولم يتبقَّ منها سوى بعض الأطلال التي تتطلب منا الحفاظ عليها والبحث عن أسرارها، كما أنها أرخت للملوك عظاماء

تركوا لنا آثاراً لعلومهم ومعارفهم عن نشأة الكون، وأسس خلق الإنسان، وكيفية مواجهة قوى الطبيعة، من خلال التوثيق على الرقم والصخور وجدران المعابد؛ بدءاً من أسطورة التكوين البابلية، وما خلفه علماء هذه الحضارة وفلسفتها من علوم هندسية وطبية وفلكلورية، مُثبتة بالحقائق والبراهين العلمية التي كانت أساساً لتطوير علومنا عبر التاريخ، وكذلك ما دفعه ملوكهم وأدباؤهم من تشاريعات للقوانين الإنسانية كشرع حمورابي، لتحول هذه الأساطير إلى مادة تاريخية تستحق أن تدرس بعمق كبير؛ بالنظر إلى ما تحتويه من مضامين فكرية راقية وإمكانات الاستزادة من العلوم التي تخدم تطور أجيالنا المقبلة.

ثانياً، ضرورة المحافظة على آثار الحضارات القديمة وكل اللقى الأثرية المكتشفة التي سطّرت لنا تاريخ نشوئنا وتطورنا البشري كحضارات راقية؛ عبر تداول أساطيرها، واتباع طقوسها إلى يومنا هذا. فهي شاهدة على أول سجلٍ تاريخي أنتجه العصر القديم ووثقه ودونه، عبر أساطير استمدت مادتها وأمكنتها وأزمنتها منذ ولادته، ومن ثمّ فهي تضطلع بدور أساسي في البناء المعرفي والعلمي للتطور الحضاري بالنسبة إلى الإنسانية، وهي مصدر تاريخي مهم جدير بالدراسة والاهتمام.

بناءً على ما تقدم، من الأهمية، بالنسبة إلى الباحثين، الاستفادة من جوهر هذه الأساطير وطقوسها ودلائلها، وهي التي أصبحت مصدراً إيمانياً من خلال الصلاة والإيمان بالله الواحد الأحد على مرّ التاريخ. ولا شك في أن ذلك يكون بعدم عدّها مصدراً للتناحر والصراعات في ما بين الأديان السماوية استناداً إلى مبدأ التفاضل، بل يكون باتخاذها كآليات متعددة المعتقد؛ لتعيد السبيل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولتنظيم البشرية حتى لا تعتمد الفوضى.



المراجع

العربية

- أبو عساف، علي. **الأراميون: تاريخاً ولغةً وفناً**. طرطوس: دار أمانى للطباعة والنشر، 1988.
- إيمار، أندرية وآخرون. **تاريخ الحضارات العام**. بيروت، لبنان: عويدات للنشر والطباعة، 2003.
- بابلون، أرنست. **الآثار الشرقية**. ترجمة مارون عيسى الخوري. طرابلس-لبنان: دار جروس برس/ دار حكمت شريف، 1987.
- باقر، طه. **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**. بغداد: دار الوراق للنشر، 2006.
- بristed، جيمس هنري. **صفحات من تاريخ مصر**. ترجمة حسن كمال. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1990.
- حسين، عبد الله. **تاريخ ما قبل التاريخ**. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.
- داوود، يوسف أحمد. **الميراث العظيم**. دمشق: دار المستقبل، 1991.
- الدملوجي، فاروق. **تاريخ الأديان**. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004.
- دوران، جيلبي. **الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها**. ترجمة مصباح العمد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1993.
- ديب، سهيل. **التوراة بين الوثنية والتوحيد**. لبنان: دار النفائس، 1985.
- ديورانت، ويل. **قصة الحضارة: السومريون**. ترجمة زكي نجيب محمود. بيروت: دار الجيل، 1998.
- زكار، سهيل. **المذوق من التوراة كاملاً**. بيروت: دار قتبة للطباعة والنشر، 2006.
- ———. **التوراة، النصوص اليهودية المسيحية المقدسة**. بيروت: قتبة للطباعة والنشر، 2007.
- ذكري، أنطوان. **تاريخ مصر القديمة: الأدب والدين عند قدماء المصريين**. القاهرة: مطبعة المعارف، 1923.
- سركيس، سلامة. **الأرخيولوجيا: منهجيات - مراحل - إشكاليات**. بيروت: دائرة منشورات الجامعة اللبنانية، 2003.
- السواح، فراس. **مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين**. ط.13. دمشق: علاء الدين للنشر والتوزيع، 2002.
- سيرنج، فيليب. **الرموز، في: الفن - الأديان - الحياة**. ترجمة عبد الهادي عباس. ط. 2. دمشق: دار دمشق للنشر، 2009.
- الشوفي، نزيه. **كشف الحقائق التاريخية**. دمشق: دار اتحاد الكتاب العرب، 2003.
- عبد الرحمن، خليل. **أفستا: الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية**. دمشق: دار روافد للثقافة والفنون، 2008.
- العقاد، عباس محمود. **الله: نشأة العقيدة الإلهية**. ط. 4. القاهرة: دار المعارف المصرية، 1964.
- عاكاشة، ثروت. **موسوعة تاريخ الفن: العين تسمع والأذن ترى، الفن الهندي**. القاهرة: دار الشروق، 2005.
- كريم، صموئيل. **من ألواح سومر**. ترجمة طه باقر. بغداد/ القاهرة: مكتبة المثنى / مؤسسة الخانجي المصرية، 1970.

• لويد، سيتون. آثار بلاد الرافدين في العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي. ترجمة سامي سعيد الأحمد. بغداد: مطبع دار الحرية، 1980.

• يوغي، مهاريши ماہش. ترجمة علي مولى. البهاغافاد غيتا. ويلتسشاير: د.ن، 1965.

• هيرقلطيتس، جدل الحب وال الحرب. ترجمة عبد المنعم مجاهد. بيروت: دار التویر للنشر، 1983.

الأجنبية

- Untracht, Oppi. *Tradition Jewelry in India*. London: Thames & Hudson, 2008.
- Kramer, Samuel Noah. *In the World of Sumer*. Wayne State: Wayne University Press, 1988.
- *Egyptian Treasures from the Egyptian Museum in Cairo*. Cairo: Egyptian Museum Publisher, 1999.
- Filliozat, Jean. *L'Inde Classique, Manuel des Etudes Indienne*. vol. 11. 2ème edn. Paris: FEO, 1985.
- Lemaire, André. *Les écoles et la formation de la Bible dans l'ancien Israël*. Paris: Fribourg/ Göttingen, 1981.
- Fox, Peter. *Text and Script*. 2nd edn. Dublin: Library Dublin, 1990.
- Anderson, George. *The Insular Gospel*. London: Thames & Hudson, 1987.
- Lewis, Susan. *Sacred Calligraphy: The Chi Rho Page in the Book of Kells*. New York: Fordham University Press, 1980.
- Otto, Karl. *Werckmeister*. Berlin: Tats, 1967.
- Caillet, Jean-Pierre et al. *L'Art du Moyen Âge: Occident, Byzance, Islam*. Paris: Gallimard, 1995.
- Cathie, Spiser. *Les Noms Du Pharaon: Comme Etres Autonomes Au Nouvel Empire*. Switzerland: Academic press Fribourg, 2000.
- Trnek, Helmut & Nuno Vassallo e Silva et al. (eds.). *Exotica: The Portuguese Discoveries and the Renaissance Kunstkammer*. Lisbon: Calouste Gulbenkian, 2001.
- A Selection of Early Chinese Bronzes-Eskanazi. Eskenazi: London, 2006.
- Szablowski, Jerzy. Arrasy wawelskie. Warszawa: Arcady, 1994. O'Kane, Bernard. *The Iconography of Islamic Art: Studies in Honour of Robert Hillenbrand*. Scotland: Edinburgh University Press, 2007.
- Cline, Eric H. & Mark W. Graham, *Ancient Empires: From Mesopotamia to the Rise of Islam*. London: Cambridge University press, 2011.
- Christin, Anne-Marie. *L'image écrite ou la déraison graphique*. Paris: Flammarion, 2001.
- Keightley, David N. *Sources of Shang History: The Oracle-Bone Inscription of Bronze Age China*. Berkeley: University of California Press, 1978.
- Ishigami-Iagolniser, Michiko. *Les Hyakumanto dharani et les débuts de la Xylographie au Japon, VIII-XIII Siècles*. Bordeaux: Société des bibliophiles de Guyenne, 1996.